# كلية التربية

**قسم : التاريخ الفرقة : الرابعة المادة : تاريخ اوروبا الحديث**

---

**امتحان الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٢٠١٤-٢٠١٥**

==========

**( أجب عن سؤال واحد فقط ) مما يلي : -**

**١- أشرح بالتفصيل : -**

**- أسباب ظهور النهضة في إيطاليا قبل غيرها .**

**- خصائص النهضة الأوربية .**

**٢ - - تعددت الأسباب التي أدت إلي قيام الثورة الفرنسية فمنها الفكرية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية .**

**- أشرح هذه العبارة .**

**٣ - أكتب ما تعرفة عن : -**

**أ - حرب الوراثة الأسبانية .**

**ب- حرب السنوات السبع .**

**مع أطيب الامنيات بالنجاح**

**أجابة - أسباب ظهور النهضة في إيطاليا قبل غيرها .**

ومن خصائص النهضة أيضاً أنها لم تظهر في جميع البلاد الأوروبية في وقت واحد بل ظهرت فيها تباعاً، بدأت في شبه الجزيرة الإيطالية حتى إذا اكتملت واستوى عودها تسربت إلى سائر البلاد في غرب أوروبا.

ومما لا شك فيه أن حركة النهضة قد ظهرت في إيطالية قبل غيرها من الأقطار الأوروبية، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة، من بينها:

أولاً: الموقع الجغرافي:

اكتسبت شبه الجزيرة الإيطالية أهمية كبرى بسبب موقعها الجغرافي الفريد بالنسبة للبحر المتوسط، في وقت كان فيه هذا البحر مركز للتجارة العالمية، ومركز الاحتكاك الفكري بين الشرق والغرب.

ثانياً: الرخاء الاقتصادي:

تمتعت المدن الواقعة في شبه الجزيرة الإيطالية مثل البندقية وجنوه وفلورنسا وميلان برخاء اقتصادي بفضل سيطرتها على أسواق التجارة في البحر المتوسط، وقيام الإيطاليين بنقل المتاجر الشرقية إلى الموانى الإيطالية، ومنها توزع على الأسواق في سائر البلاد الأوروبية.وقد أفضى هذا النشاط التجاري إلى ظهور الرأسمالية ووجود طبقة جديدة تمتع بالغنى والثراء . والثراء يولد الرغبة في أفضى الاهتمام بالقراءة والكتابة وانتشارها إلى ا لحاجة الملحة إلى اختراع وسيلة يسهل بها انتشار التعليم، والحاجة أم الاختراع، فدخلت الطباعة إيطاليا في عام ١٤٦٤، وكان من نتيجة اختراع آلة الطباعة أن انتشرت عدد الكتب وانخفض ثمنها، وزاد إقبال الناس على العلم، ولم تعد الثقافة والمعرفة حكراً على رجال الكنيسة، بل أضحت في متناول عامة الناس، وتحولت طباعة الكتب إلى صناعة كبيرة في بعض المدن، أهمها باريس والبندقية وبازل.

ومما لا شك فيه أن اختراع الطباعة كان أداة الشعب الإيطالي في دعم الدراسات الكلاسيكية. وكان أبزر أعلام الطباعة الإيطالية الدوس مانوتيوس (توفى عام ١٥١٥) الناقد والمؤرخ الأدبي الذي أنشأ المطبعة التي عرفت باسمه في البندقية.

ثامناً: تأثر إيطاليا بالحضارة الإسلامية:

أخذت الحضارة الإسلامية تزحف إلى أوروبا بصفة عامة وإيطاليا بصفة خاصة منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وسلكت في طريقها عدة معابر أهمها : هي شبه الجزيرة الأيبرية، وجزيرة صقلية، وبلا الشرق الأدنى. كما أسرع طلاب العلم من كل أنحاء أوروبا إلى مراكز الحضارة الإسلامية ينهلون من مواردها: يدرسون ويترجمون ويقتبسون الكثير من معالم هذه الحضارة فتأثر الإيطاليين بثقافة المسلمين واستنارت عقولهم بما اقتبسوه من الحضارة الإسلامية التي كانت أرقى منهم مدنية.

تاسعاً: مقر البابوية :

إن وجود مقر البابوية في روما كان عاملاً مساعداً على ازدهار النهضة في شبه الجزيرة الإيطالية، وكان له أثر كبير في نفوس الإيطاليين، فاكسبهم شعوراً بالسيطرة الدينية على بقية أنحاء أوروبا. كما حقق الإيطاليون كسباً آخر من الناحية المادية نتيجة وجود مقر البابوية في بلادهم، إذ كانوا يظفرون بمعظم وظائف الكنيسة، وكانوا يتقاضون مرتبات ضخمة منها.

ولما كان الإيطاليون أقرب الشعوب إلى مقر البابوية ، أضحوا أشد من غيرهم ألفة واختلاطاً برجال الكنيسة، وأكثرهم نقداً لرجال الدين، ولهذا لم يخشو من تهديد الكنيسة ولا سلطة رجال الدين، ومن هنا كانوا أسبق الشعوب في تحطيم قيود العصور الوسطى وأغلال الكنيسة، وأقبلوا قبل غيرهم على دراسة العلوم والأدب والفنون القديمة في جو كامل من الحرية.

أهم مراكز النهضة في إيطاليا:

أضحت المدن الإيطالية عبارة عن مراكز للنهضة وكانت أهم هذه المراكز.

١- فلورنسا:

كانت فلورنسا تحت حكم آل مديتشي عاصمة الآداب والفنون في أوروبا الغربية، فبرع تحت رعايتهم في فن النحت لورنزو جيبرتي (١٣٧٨م-١٤٥٥م) وكذلك دوناتللو (١٣٨٦م-١٤٦٦م). وشهدت فلورنسا تطو ر كبير في فن البناء ومنها انتقل إلى بقية أنحاء شبه الجزيرة الإيطالية، ومن أشهر النوابغ في فن العمارة في مطلع عصر النهضة فيليب برينلشكي (١٣٧٧م-١٤٤٦م) وهو من مواليد فلورنسا.

وقد أضحت فلورنسا مركز للإشعاع الحضاري في إيطاليا في عهد الأمير كوزيمودي مديتشي (١٤٣٤م-١٤٦٤م) الذي اهتم بجمع المخطوطات والجواهر

والمسكوكات والنقوش، وأصبغ حمايته على العلماء والنساخين والمصورين والنحاتين، ودعم مكتبة سان ماركو بفلورنسا.

وسار لورنزو (١٤٦٩م-١٤٩٢م) على نهج جده كوزيمو في تشجيع الآداب والفنون، وبذل الأموال الطائلة على اقتناء التحف الفنية وفي سبيل التعليم، حتى أضحى عهده من أزهى عهود النهضة الأدبية والفنية في إيطاليا، وكان مما ساعد على ذلك أن شهدت فلورنسا في عهده رخاء اقتصادياً كبيراً، ووردت إلى أسواقها المتاجر من جميع أنحاء العالم.

ويعتبر (ليونا ردو دافنشي)، و(مايكل أنجلو) زعيماً المدرسة الفلورنسية، ويتميزان بأن نشاطها الفني لا يقتصر على الرسم بل يتعداه إلى بعض الفنون الأخرى كالتصوير والنحت والموسيقى والأدب والعلوم الطبيعية بالنسبة (لدافنشي)، بينما (انجلو) برع أيضاً على جانب الرسم في النحت وهندسة البناء والشعر الإيطالي.

٢- روما:

كان من المتوقع أن يتصدى البابااوات للدفاع عن أفكار العصور الوسطى ومعارضة النهضة ولكن نجدهم على العكس قد جرفهم مظاهر النهضة فساندوها على اعتبار أن لغة الإغريق وعلومهم تساعد رجال الدين على معرفة أصول دينهم.

وقدساهم البابااوات في النهوض بالعلوم ونشر المعرفة بإنشاء المكتبات وشراء المخطوطات واقتناء الكتب وإقامة الأكاديميات وجمع الكنوز الفنية وتجميل مدينة روما، ومن ثم أخذ البابااوات ينافسون الأمراء الإيطاليين في تشجيع الأدب ورعاية الفنون، وكان الأدباء والفنانون يهرعون على بلاط البابا يطمعون في كرم العطاء.

ويطلق على هؤلاء البابااوات في التاريخ الأوروبي الحديث اسم "بابوات النهضة" وكان على رأس هؤلاء البابااوات البابااا نقولا الخامس (١٤٤٧م-١٤٥٥م) الذي بسط رعايته على العلماء ورجال الفنون والآداب، جمع خمسة آلاف مخطوط، كانت نواة لمكتبة الفاتيكان التي أنشأه ا. وبلغت النهضة زروتها في روما في عهد البابا ليو العاشر (١٥١٣-١٥٢١) الذي كان يؤيد الفن والأدب، وشرع في تشييد كنيسة القديس بطرس.

وهكذا ظهرت النهضة في إيطاليا، ثم أخذت في النمو والانتشار، وتشق طريقها قدماً في ربوع شبه الجزيرة الإيطالية، ولما اكتمل نموها ونضجها تعرضت لعاملين اجتمعا في القضاء عليها، تمثل العامل الأول في الحروب الإيطالية التي كانت مظهراً من مظاهر

التنافس بين فرنسا وأسبانيا، وكانت شبه الجزيرة الإيطالية هي ميدان هذه الحروب في معظم أدوارها واستمرت ما يقرب من خمس وستين عاما (١٤٩٤م-١٥٥٩م) وكان استيلاء قوات الدولة الرومانية المقدسة على روما في عام ١٥٣٧م إيذاناً بانهيار النهضة الإيطالية وانطفاء شعلتها ونهاية عصرها.

أما العامل الثاني فتمثل في الثورة الدينية بزعامة مارتن لوثر في ألمانيا، وهدفها التحرر من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، مما أفضى إلى نقمة البابااوات على هذه الحركة واعتبروها نتيجة من نتائج حركة إحياء العلوم، والآداب والفنون، ومن ثم نشطوا في محاربة تلك الحركة الدينية محاربة لا هوادة فيها.

---

- خصائص النهضة الأوربية.

خصائص النهضة الأوروبية:

اكتنفت حركة النهضة تيارات متنوعة، فهناك تيارات من العصر اليوناني الروماني القديم، وتيارات من العصر الوسيط، وتيارات حديثة منبثقة من واقع عصر النهضة نفسه وقد أثرت هذه التيارات بعضها في بعض، ونتج من تشابكها وامتزجها وتفاعلها حضارة عصر النهضة.

وقد تميزت النهضة الحديثة بعدة خصائص منها:

أنها كانت علمانية، أي لم تنشأ في رحاب الكنيسة ولم تخضع لتوجيهاتها، بل على النقيض كان الطابع الغالب عليها هو الابتعاد عن الكنيسة والخروج عل ى تعليمها.

كما جاءت النهضة بمفاهيم جديدة وآراء جديدة، وأحدثت تغييرات جذرية تسللت إلى مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية.

كذلك تميزت هذه الفترة بظهور بعض الكتاب والأدباء الذين ثاروا على الروح القديمة، في بعض نواحيها، وحرروا عقولهم، من بعض قيود العصور الوسطى . فأخذوا يكتبون بلغات شعوبهم وألفوا الروايات والأغاني التي ذاعت بين الجماهير التي أقبلت على إنشادها في شتى المناسبات، كذلك عمل هؤلاء الكتاب على إدخال التحسينات والإصلاحات اللازمة على هذه اللغات، مما أفضى إلى رفع مستواها، حتى أضحت صالحة لتدريس العلوم الآداب.

واعتمدت النهضة في نموها وانتشارها على مركز القوة الذي وصلت إليه المدن في أواخر العصور الوسطى، إذ أضحت المدن تشكل وحدات سياسية مستقلة في وسط إقطاعي متزمت، كما غدت أرضاً طيبة لظهور الطبقة الوسطى ونمو الشعور القومي. وأن تكون عاملاً مؤثراً في القضاء على النظام الإقطاعي والحد من نفوذ الكنيسة وقد تجمعت في المدن الثروات وبخاصة الأموال السائلة، لأن سكان المدن اعتمدوا على التجارة والصناعة وابتعدوا عن سيطرة النبلاء الإقطاعيين في إقطاعياتهم الزراعية. وبذلك أضحت المدينة مركز الاجتماعي وا لنشاط، وهو المركز الذي كانت تحتله قلعة الإقطاعي في العصور الوسطى . ومن هنا قامت النهضة على أكتاف سكان المدن وهم أفراد الطبقة الوسطى.

ومن خصائص النهضة نمو شخصية الفرد، فشخصية الفرد في العصور الوسطى كانت مختفية في الجماعة أو الطائفة أو النقابة الحرفية التي ينتمي إليها، وحرم الفرد من التعبير عن نفسه، بينما في عصر النهضة ظهر الفرد فيها متمتعاً بشخصية مستقلة له حرية الرأي والتصرف، وأضحت الخلية، الأولى في بناء المجتمع، وتعددت أمام الفرد مجالات عديدة من أجل القيام بدور بارز في المجتمع الذي يعيش فيه لاستغلال مواهبه وقدراته بعد أن كانت الفرص معدومة أمامه طوال العصور الوسطى بسبب استبداد النظام الإقطاعي وصرامة تعاليم الكنيسة، ولم يكن أمام الشخص الطموح المغمور سوى الانتظام في سلك الكهنوت بهدف الوصول في آخر المشوار على وظيفة كبيرة في الكنيسة يدر عليها مرتباً ضخماً.

ومن خصائص النهضة أيضاً أنها لم تظهر في جميع البلاد الأوروبية في وقت واحد بل ظهرت فيها تباعاً، بدأت في شبه الجزيرة الإيطالية حتى إذا اكتملت واستوى عودها تسربت إلى سائر البلاد في غرب أوروبا.

ومما لا شك فيه أن حركة النهضة قد ظهرت في إيطالية قبل غيرها من الأقطار الأوروبية، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة، من بينها:

أولاً: الموقع الجغرافي:

اكتسبت شبه الجزيرة الإيطالية أهمية كبرى بسبب موقعها الجغرافي الفريد بالنسبة للبحر المتوسط، في وقت كان فيه هذا البحر مركز للتجارة العالمية، ومركز الاحتكاك الفكري بين الشرق والغرب.

**ثانياً: الرخاء الاقتصادي:**

**تمتعت المدن الواقعة في شبه الجزيرة الإيطالية مثل البندقية وجنوه وفلورنسا وميلان برخاء اقتصادي بفضل سيطرتها على أسواق التجارة في البحر المتوسط، وقيام الإيطاليين بنقل المتاجر الشرقية إلى الموانى الإيطالية، ومنها توزع على الأسواق في سائر البلاد الأوروبية.وقد أفضى هذا النشاط التجاري إلى ظهور الرأسمالية ووجود طبقة جديدة تمتع بالغنى والثراء . والثراء يولد الرغبة في الحرية، ويكسب القوة والاعتزاز بالنفس، ويمهد السبيل للاشتغال بدراسة الفنون والعلوم والآداب، وبخاصة أن أغلب تجار هذا العصر كانوا أصحاب فن وذوق رفيع.**

---

**– تعددت الأسباب التي أدت إلي قيام الثورة الفرنسية فمنها الفكرية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية .**

**- أشرح هذه العبارة .**

**احداث الثورة ١٧٨٩-١٨٠٠م.**

**تميزت هذه الفترة من تاريخ فرنسا بمحاولة المجالس والهيئات النيابية للسيطرة علي توجيه دقة الامور في البلاد كرد فعل لسيطرة الملكية والمستبدة في النظام القديم وكان معني هذا حدوث صراع عنيف بين النظام القديم الذي تمثله الملكية وبقايا الاقطاع من جهة والنظام الجديد الذي تمثله الطبقة المتوسطة البورجوازية من جهة اخري وأثناء هذا الصراع توالت الأحداث علي المسرح الفرنسي بل والأوروبي وهذه الأحداث تمثل سلطة متصلة من الحقائق المترابطة بأعتبار أن كل حادثة لها بداية و ذروة ونهاية الحادثة بداية الحادثة وهكذا كما ان هذه الأحدا ث نتاج للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية أخري والفكرية التي سادت فرنسا قبيل تلك الفترة ثم هي سلسلة من الافعال وردود الافعال المتتالية وفي ظل الصراع بين النظامين القديم والجديد وممثلي هذين**

النظامين فسوف تعالج أحداث تلك الفترة من خلال محاولات المجالس والهيئات النيابية السيطرة علي مقاليد الأمور وموقف القوي المضادة من هذه المحاولات وستكون معالجتنا علي النحو التالي :

(١) مجلس طبقات الامة

(٢) الجمعية التشريعية

(٣) المؤتمر الوطني

(٤) جمهورية حكومة الادارة

ومن خلال معالجة هذه الموضوعات ستتم مناقشة الاحدا ث التي تمت خلال دور كل مجلس أو هيئة نيابية بما يعطي تصورا عاما لسير الأحداث في فرنسا حتي يظهر نابليون بونابرت ويتسلم زمام الامور .

مجلس طبقات الامة :

لم يكن احد يعلم شيئا عن مجلس طبقات الأمة لأنه لم ينعقد منذ عام ١٦١٤م وكان المجلس مؤسسا علي النظام الاقطاع ي بمعني أنه كان لكل طبقة من طبقات المجتمع الثلاث : النبلاء رجال الدين ، العامة البورجوازية ، ممثلون متساوون في العدد ، يدافعون عن مصلحة طبقتهم ، وكانوا يجتمعون كل طبقة علي حدة ولكل طبقة صوت واحد يعبر عن مطالب واراء أفرادها ومعني هذا أن لطبقتي النبلاء ورجال الدين المتحدثي المصالح ضعف عدد ممثلي الطبقة الثالثة البورجوازية ولهما صوتين مقابل صوت واحد للطبقة الثالثة .

كانت دعوة الملك لويس السادس عشر لعقد المجلس من أجل أن يتعاون معه رعايا المخلصون في تذليل الصعوبات التي تحيط به بسبب الحالة التي عليها ماليه البلاد كما قال في دعوته التي وجهها إلي حكام الأقاليم الفرنسية في ٢٤يناير ١٧٨٩م وأصدر الملك قرار بأن يجتمع المجلس في أوائل مايو ١٧٨٩م وعهد الي نكر – كما سبق ذكره – انجاز ترتيبات عقد اجتماع المجلس

وقد ثارت مناقشات حول كيفية انعقاد المجلس ومطالب الطبقات وقد انتشرت عدة رسائل سياسية وكراسات الثورة التي حوت مطالب الشعب في الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وركزت الطبقة المتوسطة علي ضرورة استصدار دستور يكفل أزالة كل

المساوئ والمظالم التي تشكو منها الأمة الفرنسية حيث سيضمن الدستور تعيين شكل الحكم وتسجيل حقوق الفرد وو اجباته وحرياته كما طالبت بالغاء نظام المجلس القديم وأحلال نظام جديد يضمن عدم تميز طبقي .

وتقدم نكر إلي الملك بتقرير حول كيفية انعقاد مجلس طبقات الامة حدد فيه ثلاثة أمور هي :-

(١) ان يكون عدد نواب كل مديرية أو قسم أداري متناسبا مع عدد السكان ومع المساحة .

(٢) اطلاق الحرية التامة لكل طبقة في اختيار نوابها وممثليها اذا شاء من بين أفراد الطبقات الأخرى .

(٣) أقرار مبدأ التمثيلي الضعفي للطبقة الثالثة بمعني أن يكون عدد نوابها مساويا لعدد نواب الطبقتين الأخريين معا.

ورغم معارضة طبقتي النبلاء ورجال الدين لهذا التقر ير وبصفة خاصة للنقطة الثالثة فقد وافق عليه بعد ان أيد نكر تقريره بكثير من الحجج والبراهين القوية ومن ثم اتخذت الإجراءات الانتخاب نواب الطبقات تمهيد لأجتماع المجلس في موعده المحدد .

اولا : الجمعية الوطنية :

وصل ممثلوا طبقات الأمة البالغ عددهم ١١٣٩ نائبا إلي قصر فرساي مكان اجتماع المجلس أخر أبريل ١٧٨٩م في مواكب استوعت الانظار وكان عدد نواب طبقة النبلاء ٢٧٠ عضوا اشهرهم لافاييت La Fayette وميرابو Mirapeau الذي اختارته الطبقة الثالثة ليكون من بين نوابها وعدد نواب طبقة رجال الدين ٢٩١ عضوا يمثلون رؤساء أديرة ورؤساء أساقفة منهم من أشتهر بالتبذل في حياته الخاصة ومنهم قساوسة أحرار يطالبون بالإصلاح ومن بينهم أيضا أسقف حر هو بيرجور

ما عدد نواب الطبقة الثالثة فقد بلغ ٥٧٨ عضوا كان Tallayrond- perigordH منهم الكتاب الممتازين والعلماء والشبان الذين يدينون بالمثل العليا وأن أوزنتهم الحنكة السياسية ومن بين نواب هذه الطبقة روبسبير Robespierre

ومنذ ٥ مايو ١٧٨٩م – وهو تاريخ انعقاد المجلس – توالت أحداث الصراع بين البورجوازيين وبقايا الأقطاع والملكية فقد افتتح الملك لويس السادس عشر الاجتماع

بخطاب العرش أكد فيه حقوق وسلطة الملكية ، وطلب تنظيم المالية ولكنه لم يشير إلي مطالب سواد الشعب بزعامة البورجوازية وخاصة استصدار دستور .

أستاء أعضاء الطبقة الثالثة من خطاب الملك و حاولوا أستمالة نواب الطبقتين الأخيرتين للاجتماع معهم في صالة القصر لمناقشة كل ما يهم الأمة الفرنسية وقد أستجاب لافاييت وعدد لابأس به من رجال الدين الاحرار .

ومن ثم أعلن المجتمعون أن المجلس صار يضم أكثرية نواب الأمة وأنه لذلك مجلس قانوني ولا يتفتي وضعه هذا مع تسميته القديمة بمجلس طبقات الامة .

ولذلك قرروا في ٢٧ يونيو تسمية المجلس بأسم المجلس الوطني أو الجمعية الوطنية وبعد يومين قرر رجال الدين بأغلبية قليلة الأنضام إلي المجلس .

ولكن هل يسكت الملك وطبقة النبلاء ..؟ خاصة بعد أن أنعقد في ملعب لتنس اجتماع في ٢٠ يونيو ضم نواب الطبقة الثالثة وتسعة من رجال الدين تعاهدوا فيه بانهم لن يتفرقوا حتي يتم وضع دستور علي أسس قوية أمام هذا أضطر الملك تحت ضغط النبلاء في نفس اليوم إلي دعوة مجلس طبقات الأمة للأنعقاد في ٢٣ يونيو بحيث يجتمع نواب الطبقات الثلاث في جلسة عامة وفي هذه الجلسة خطب الملك خطابا جاء خلوا من الاستجابة لمطالب الشعب وبعد الخطاب طلب كبير أمناء القصر من نواب كل طبقة أن ينصرفوا إلي قاعتهم إلا أن نواب الطبقة الثالثة بقوا حيث هم ومعهم نصف ممثلي رجال الدين ونفر من النبلاء فلما كرر كبير الأمناء امر الملك بلزوم الانص ارف تصدي له ميرابو أقوي النواب شخصية وقال أذهب يا سيدي وبلغ مولاك أننا لن نغادر هذا المكان إلا علي أسنة الحراب وطالب ميرابو المجتمعين بالاستمرار في الاجتماع لتحقيق مطالب الامة يصدروا قرارا بتمتعهم بالحصانة الكاملة باعتبارهم نوابا عن الأمة

فلماذا كان موقف الملك ..؟ قبل الملك الأمر الواقع مستسلماً وطلب من نواب طبقتي النبلاء ورجال الدين الانضام إلي نواب الطبقة الثالثة المجتمعين في ٢٧ يونيو ومن ثم أصبحت الجمعية الوطنية قانونية تماما وأنتظمت جلساتها منذ ٣ يوليو ١٧٨٩م فشكلت لجنة لوضع الدستور في ٦ يونيو وبعد ثلاثة أيام أتخذت الجمعية أسم الجمعية الوطنية التاسيسية ولم يكن خضوع الملك تكتيكيا بل كان نتيجة تردده المستمر الذي جعل من الأوامر الملكية موضع معارضة وعدم طاعة

وقد اعتقد الشعب الفرنسي بخضوع الملك لمطالب ممثلية أن الثورة تعد أنتهت من غير أن تراق نقطعة دم واحدة حيث تحققت هذه المطالب في تشكيل لجنة لوضع الدستور حلم البورجوازية ومطلبها الأول، مما يوحي بأن مطالب البورجوازية لا مطالب سواء الشعب الفرنسي هي المحرك للأحداث ومن ثم اقيمت الاحتفالات في الشوارع وفي حدائق البالية رويال .

ثانيا : سقوط سجن الباستيل :

نظرا لتوفر الشك وعدم الثقة بين الملكية والنبلاء من ناحية وبين الطبقة المتوسطة وجماهير الشعب من ناحية أخري فقد سرت أشاعات خطيرة تناقلها الناس في باريس بصفة خاصة بان الملك يتآمر والنبلاء ضد مكاسب الشعب المتمثلة في الجمعية الوطنية وقراراتها خاصة وأن الملك حاول الأستعان ة بعدة فروق عسكرية منذ أول يوليو ١٧٨٩ م من السويسريين والألمان إلي جانب الفرق الفرنسية تجمعت في باريس في الوقت الذي زادت فيه الأزمة المالية شدة علي حين قرر الملك في ١١ يوليو عزل نكر وأمره بمغادرة البلاد وعهد بالوزارة إلي شخص منهم بعدائه الشديد للثورة .

قامت المظاهرات الشعبية كرد فعل لتحركات الملك والنبلاء هذه واصطدام المتظاهرون بالفرق العسكرية وجاء متظاهرون من خارج باريس أنضم إليهم مجرمون وقطاع طرق وشحاذون وغيرهم واقتحموا ابواب العاصمة في ليلة ١٣/١٢ يوليو واحرقوا بواباتها واخذوا ينهبون وانقسموا إلي جماهير ا لباريسيين الثائرين وقد حاولت الجمعية الوطنية ايقاف هذا التيار المضطرب خشية أن يحدث أنقلاب حكومي يطيح بمكاسب البورجوزاية إلا أن الملك رفض الأستجابة لنصائح الجمعية بسحب الجنود وانشاء حرس وطني فما كان من الجمعية إلا أن أصدرت قرارات تؤيد مكاسبها وتقرر مسئولية الوزراء ومستشاري الملك أمامها وأنها مستمرة في عقد جلساتها بصورة دائمة .

ونتيجة لموقف الملك وما فسره المتظاهرون بأنه استعادا لأحداث أنقلاب حكومي ضد المكاسب الوطنية فقد اشتعلت الثورة في كل مكان في باريس وخرجت الجماهير صباح يوم ١٤ يوليو متجهة صوب حصن الباستيل ؟ – رمز الاستبداد والظلم – واستولت عليه وأخذ المتظاهرون يهدمون بناه ويطلقون سراح المسجونين فيه وقتلوا قائد الحصن وعددا من جنود ومثلوا بهم اشنع تمثيل متهمين اياهم بالتحرش بالشعب السالم الاعزل .

**سقط حصن او سجن الباستيل أذن فما تاثير سقوطه علي الموقف في فرنس ا وعلي الموقف في أوربا ..؟**

**كان التاثير النفسي علي الفرنسيين كبيرا فقد اعتبروا سقوط الباستيل فوزا كبيرا في ثورتهم ضد النظام القديم وأن الرجال الذين أسهموا في سقوطه يستحقون التكريم كابطال ودعوا إلي هدم وتدمير قصور الأشراف في الأقاليم التي تمثل الباستيل لأن هـ ذا السجن كان وسيلة تهدد وطالما أستخدمه ملوك فرنسا والاشراف المقربون لديهم لاقصاء خصومهم واخماد أصوات المفكرين وأنصار الحرية بطرحهم في أقبيته المظلمة حتي يقضي عليهم**

**ومن نتائج سقوط الباستيل علي الموقف الداخلي في فرنسا حضور الملك بعد تردده مذكورا إلي الجمعية الوطنية وأصدار قرارات باستدعاء نكر من سويسرا وتسليمه مقاليد الوزارة وتعيين بايلي رئيس الجمعية الوطنية وفرساني وقبل الملك رواية سقوط الباستيل ومصرع قائد وجنود الحصن علي علاتها وقرر العودة إلي باريس وحمل علي صدره شارة الثورة المثلثة الالوان : الأبيض والأزرق والأحمر – أملا في أن تتغلب محبة الملك في قلوب شعبة علي كل الاخطار والاضطرابات السائدة .**

**وكان من نتائج سقوط الباستيل أيضا وقبول الملك للأمر الواقع أن ظهر ما عرف D, Artois في تاريخ الثورة الفرنسية بالمؤامرة الاستقراطية التي قادها الكونت دي ارتوا اخو الملك ومعه أمراء الأسرة المالكة واعضاء الطبقة الاستقراطية صاحبة الأمتيازات والذين فروا من البلاد وهاجروا إلي الدول الاوربية المجاورة بلجيكا ولكسمبرج والنمسا بصفة خاصة – لاستعداء هذه الدول ضد الثوار متهمين الملك لويس السادس عشر بالضعف والاستسلام وموضحين للدول الأ وربية أنه شبه معتقل في باريس وان حريته مفقوده أمام المهاجرين**

**ونتيجة لهذه الهجرة والمؤامرة الارستقراطية ساد جو من الرعب بين صفوف الثوار خاصة الرعب من جيش أجنبي يتوقعون هجومه علي البلاد بتحرير من الكونت دي ارتوا، لذلك بادرت البورجوازية بتشكيل حرس وطني من بي ن افرادها وتسلمت المجالس البلدية زمام الأمور الذي افلت من يد الحكومة في الوقت الذي وقفت فيه الجمعية الوطنية في المدة**

من ١٧ يوليو حتي ٤ اغسطس ١٧٨٩م لا تستطيع ان تفعل شيئا للقضاء علي الفوضي والتخريب .

اما تاثير سقوط حسن الباستيل علي الموقف الاوروبي فقد نبه الدول الأوربية ذات النظام الملكي الاستبدادي والارستقراطية صاحبة الامتيازات إلي أن رياح التغيير التي تفجرت في فرنسا وفوضت النظام القديم ستهب دون شك علي بقية الدول الأوروبية ذات النظام المماثلة للنظام الفرنسي ومن ثم ارتجت العرش في الوقت الذي طرب له الاحرار في تلك الدول ورحبت الدول الأوربية الأوتوقراطية بمساعدة الملكية الفرنسية ضد الثورة .

ثالثا : اعلان حقوق الانسان والمواطن :

رغم سقوط سجن الباستيل فان الاضطرابات والفوضي استمرت دون أن تستطيع الجمعية الوطنية عمل شئ حتي أن يوم ٤ اغسطس ١٧٨٩م عندما أعتلي الكونت دي منصة الخطابة في الجمعية . وكان فقيرا يلقبه وملاؤه بجان cont de Noilles نواي الذي لا يملك ارضاء واعلن اقتراحاته لانهاء حالة الفوضي والاضطرابات بالغاء السخرة والخدمة الاقطاعية الشخصية وتحرير رفيق الأرض والغاء الحقوق الاقطاعية في نظير دفع تعويض لاصحابها .

وجاءت دعوة الكونت دي نواي بمثابة دعوة للنبلاء ليحذوا حذوة ، وبالعفل سارع النواب الاحرار من النبلاء ورجال الدين إلي أعلان تنازلهم عن حقوقهم الاقطاعية وامتيازاتهم وسرعان ما طغت موجة من الحماس حيث تنافس بقية نواب الجمعية من النبلاء ورجال الدين بالصعود الي منصة ا لجمعية واعلان تنازلهم، وتلي ذلك أن أعلن نواب الأقاليم عن تنازل المجالس الاقليمية عن كل مالها من سلطات مالية وتنازل المدن عن نقاباتها وامتيازاتها الاقتصادية كما اعلن القضاة تنازلهم عن حق شراء الوظائف القضائية كما تنازلت الكنيسة عن زكاتها .

وسارت الجمعية الوطنية شوطا آخر في تأكيد سقوط النظام القديم ووضع نظام جديد يتفق مع الفكر الثوري فألغت الجمعية حق الكنيسة في تحصيل العثور وأقرت فرض ضرائب علي جميع الفرنسيين من غير تمييز وأقرت أن لكل فرنسي الحق في مناصب الحكومة وأن تخضع كل فرنسا لقانون واحد وأن تحمي الأقسام الادارية القديمة ويستعاض

عنها باقسام ادارية متقاربة المساحة تسمي بأسماء ما يجاورها من الانهار والجبال وغيرها من المظاهر الطبيعية .

وكانت هذه الاجراءات والقرارات خطوة تتبعها خطوة أكثر خطورة ، ذلك أن الجمعية أصدرت في ٢٦ اغسطس ١٧٨٩م أعلان حقوق الأنسان والمواطن الذي جاء ترجمة صادقة لأفكار جان جاك روسو حيث قرر الأعلان تساوي الناس في الحقوق باعتبارهم احرار لانهم ولد احرارا وان الغرض من الحكومات ضمان الحرية والأملاك الشخصية وصيانة الحقوق وحماية الارواح ومنح المظالم وأن لكل أمة الحق في مشاركة الحكوم ة في وضع القوانين وتقرير الضرائب ، ولها وحدها السلطة العليا في البلاد وليس لاحد ان يستعمل هذه السلطة الا بأراداتها وان المواد السبع عشرة التي تألف منها الأعلان تقرر أن الطبيعة وحدها مصدر الحقوق إلي ان حقوق الانسان والمواطن طبيعية ترجع الي الكائن

ورغم أن الأعلان اتسم بالطابع النفسي حيث أنه كان من وضع الطبقة المتوسطة التي تؤمن بالاصلاح بما يخدم حقها في التملك ورغم ماشابه من تناقض بسبب عدم استفادة سواد الشعب الذي لا يملك شيئا ورغم عدم احتوائه علي قرارات ٤ أغسطس رغم كل ذلك فقد كان الأعلان خطوه جرئية في ذلك ال عصر، مما جعله دستورا يستند إليه الاحرار في أوربا مدة مائة سنة من الزمن، وكان عقيدة او مبدأ للديمقراطية استرشدت بها الشعوب الأوربية وان واجب رجال الثورة الفرنسية نشر هذا المبدأ خارج الحدود الفرنسية لتحقيق سعادة البشرية وتحرير الانسانية .

وقد كان فرج جماهير الشعب الفرنسي كبيرا بقرارات ٤ اغسطس وبأعلان حقوق الانسان والمواطن ولكنهم استأوا من تردد الملك في التصديق علي القرارات والاعلان تحت ضغط حاشيته والنبلاء المستائين والمهاجرين واستاء الشعب من استدعاء الملك لفرقة الفلاندر الحربية الموالية له إلي مكان اجتماع ال جمعية الوطنية . كما استاء الشعب ايضا من الاهانة التي لحقت بشعار (الثورة اللونين الازرق والاحمر ) أثناء وليمة اقيمت بالقصر الملكي احتفالا بالجند الموالين للملك الي جانب انتشار القحط في باريس بسبب

الاضطرابات السائدة وتكالب الناس علي تخزين المواد الغذائية مما أدي إلي حدوث مجاعة .

بالإضافة إلي انتشار كتيبات ونشرات تهاجم الملك والاستقراطيين ورجال الدين وتنسب اليهم حالة المجاعة والقحط السائدة وان الحل لهذه الحالة هو العمل مباشرة ضد الملك والبلاط ، وحل الجمعية الوطنية وعودة الملك إلي باريس.

وفي وسط هذه الحالة من ا لفوضي تاليف في باريس قومون– ان لجنة أو مجلس في ١٨ سبتمبر ١٧٨٩م من أعضاء البلدية مكون من ٦٠ عضوا commice بالاضافة إلي عمدة باريس وتألفت مجالس أو قومونات في كل قسم من اقسام باريس . ومهمة هذه القومونات هو الاشراف علي التموين وتنظيم الحرس الوطني للمحافظة علي الأمن والنظام .

رابعا : عودة الملك إلي باريس :

استمر هياج الجماهير في باريس دون أن يستطيع أحد كبح جماحها وأصبح من السهل توجه حركتها من قبل المغرضين المهجميين ولما كان من مطالب الجماهير عودة الملك إلي باريس من فرساي بحجة أن في عودته توفير للمواد الغذائية في العاصمة فقد استغل المهيجون النساء في تحقيق هذا المطلب فتشكلت مظاهر كبيرة ضمت النساء البائعات في الاسواق وغيرهن من المشاكسات ونساء الطبقة الدنيا بالاضافة إلي عدد من جنود الحرس الوطني وبعض الرجال المهيجين الثوريين وبدأت هذه المظاهرة المكونة من عشرة الالف فرد طريقها من باريس الي فرساي صباح ٥ أكتوبر.

وظلت المظاهرة أمام الجمعية الوطنية ظهر نفس اليوم وصتها يعلو مطالبا بالخبز وضرورة مقابلة الملك فلما قابل الملك وفدا منهن برئاسة أحدي بنات الهوي وعد باتخاذ الاجراءات لتوفير المواد الغذائية وأعلن قبوله لقرارات الجمعي ة في ٤ اغسطس وأعلان حقوق الأنسان والمواطن وأمر بأعادة مظاهرة النساء إلي باريس في عربات البلاط إلا أنه لم يكن يرغب العودة إلي باريس ولذلك اقتحم اعضاء المظاهرة القصر من باب اغلقت حراسته فجر اليوم التالي ٦ أكتوبر حتي وصلوا مخدع الملك والملكة يقصدون الاساءة اليهما لولا وصول الحرس الوطني بقيادة لافاييت فحال المتظاهرين وبين الملك والملكة

واشترك كل من لافييت ونكر في اقتناع الملك بالعودة إلي باريس فاستسلم وعاد حاملا علي صدره شارة الثورة وسط موكب النساء .

فماذا كانت نتائج عودة الملك إلي باريس في مثل هذه الظروف وبهذه الصورة ؟.

كان دخول لويس السادس عشر قصر التوبلري بباريس أول خطوة في سبيل دخوله السجن فيما بعد ومن السجن إلي المقصلة ذلك أنه أصبح وأنصار النظام القديم من الأمراء والنبلاء تحت سيطرة الثوريين الذين فرضوا عليهم رقابة شديدة مما أدي بالكثيرين إلي الهجرة من فرنسا عرف بالهجرة العظمي لمشاركة عدد من البورجوازيين البارزيين فيها .

وهؤلاء المهاجرين بتحركاتهم ضد الثورة باستعداء الدول الأوربية وبأعداد الجيوش لانهاء الثورة قد اضروا بالملك لويس الذي اتهمه رجال الثورة بتاييد هؤلاء المهاجرين ومؤامراتهم ومن ثم أصبح التعاون بين الملك والثورة غير ممكن أن لم يكن مستحيلا مما عاد بالضرر علي الملكية .

وكان لانتقال الملك والجمعية الوطنية إلي باريس ونتائج سيئة أيضا وذلك لقربهم من جماهيرنا الثائرة الذين كانوا رهن اشارة المهيجين من محرري الصحف وأعضاء الأندية السياسية التي انتشرت بكثرة من ذ انعقاد الجمعية في مايو ١٧٨٩م وأهم هذه الأندية المتطرة نادي اليعاقبة الذي كان له فروع كثيرة في الأقاليم والذي كان يضم بين اعضائه فئات من أعضاء الجمعية الوطنية وكانت تقرر فيه الخطط والمشروعات قبل تقديمها للجمعية .

كما كان لانتقال الملك والجمعية الوطنية أثرا آخر هو أن الجمعية التي بدأت اجتماعاتها منذ عودتها إلي باريس في ١٢ أكتوبر قد أصيبت بتدخل الشعب من حين لاخر في تصرفاتها حيث صارت قاعة الجمعية تزدحم بجماهير المتعطلين من العمل والمتطرفين في عواطفهم السياسية الذين يعلو صاحبهم لمقاطعة الخطباء بالتاييد والمعار ضة وكان لذلك نتيجة في تاثير انجاز الدستور المطلب الاساسي للثورة .

خامسا : اصدار الدستور :

أدركت الجمعية الوطنية أن الواجب يقتضي اتخاذ الاجراءات الكفيلة بدعم سلطاتها وذلك باستصدار الدستور واصدار القرارات الأدارية والكنيسة والقضائية والمالية المكملة

للدستور حتي يمكن انقاذ الوطن من حالة الفوضي والاضطراب السائدة وقد انجزت الجمعية الدستور في ٣ سبتمبر ١٧٩١م بعد مناقشات طويلة وكان ما اشتمل عليه ما يلي :-

سلطة الملك :

سلبت من الملك كل سلطة حقيقة ، وبعد أن كان سيد البلاد أصبح أول خادم لها وقد تجلي ذلك في تخويل الملك حق رفض قرارات الجمعية رفضا مؤقتا فاذا ما أعادت الجمعية هذه القرارات ذاتها في ثلاثة دورات متتالية صارت نافذة، واعطي الملك حق تعيين الوزارة ورياسة الجيش وأعلان الحرب وعقد معاهدات الصلح بشرط موافقة الجمعية واعطي حق الاشراف علي القضاء والادارة في الوقت الذي جعلت فيه هذه الوظائف علي أساس الأنتخاب فأصبحت سلطتها مستعدة من الشعب لا من الملك .

السلطة التشريعية :

وتقوم بها الجمعية التشريعية ينتخب اعضاءها لمدة سنتين فقط بحيث لا يكون من بين أعضائها أحد من نواب الجمعية الوطنية السابقة ، وبحيث لا يتجدد أنتخاب أحد الاعضاء مرتين متتاليتين ومنع أعضاء الجمعية التشريعية من الأشتراك في الوزارة وأقتصرت العضوية علي من يدفعون قدرا معينا من الضرائب ومن لا يقل سنهم عن الخمسة وعشرين عاما .. وهذه الشروط تعرقل أستمرار الأصلاح والأستفادة من الخبرات في مجال التشريع والمجال التنفيذي وتؤ دي إلي عدم التعاون بين السلطتين التنفيذية والتشريعية canton .كانتون وان يكون لكل من المديرية والمركز والقومون مجلس ينتخب بالتصويت العام ويشرف علي الشئون الداخلية وكان الغرض من هذا التنظيم الجديد هو تدعيم الوحدة الوطنية بين الفرنسيين وأزالة الفروق الاقليمية وتقرر منذ ديسمبر ١٧٨٩م أقامة أحتفال سنوي يشترك فيه كل الشعب يوم ١٤ يوليو للحرية والاخاء والمساواة .

الاصلاح القضائي :

قام الاصلاح القضائي علي أساسين : الاول أنشاء محكمة جنائية لكل مديرية ومحكمة مدنية لكل مركز ووحدة قضائية لكل كانتون واختيار القضاة من بين ط بقة المحامين وان يتم انتخابهم من قبل افراد الشعب مما يجعل القضاء يشعرون بالولاء

للشعب والاساس الثاني يقوم علي ادخال نظام المحلفين في القضايا الجنائية ومنع التعذيب والعقوبات الوحشية والغاء اوامر القبض علي الافراد وحبسهم بدون محاكمة .

الاصلاح المالي :

بذلت محاولات من قبل نكر بطرح قروض أهلية ومن قبل ميرابو بدعوة الناس للتبرع كل منهم بنسبة ١٠/١ من دخله من اجل الموازنة بين الايرادات والمصروفات الكثيرة ولكن هذه المحاولات لم تحل الازمة، وجاء لب الاصلاح المالي باقتراح من ثاليران يقضي بالاستيلاء علي أملاك الكنيسة واعتبارها ملكا للدولة وأن تدفع الدولة مرتبات لرجال الدين وأن تنفق علي شئون العبادة . وقد تمت الموافقة علي هذا الاقتراح رغم معارضة رجال الدين الذين سيصبحون موظفين يدينون بالولاء للحكومة بعد أن كانت سلطتهم لا رقابه حكومية عليها وقد بيعت معظم هذه الاملاك للشعب رغم تردد اناس في البداية . وخففت الأموال الناتجة من البيع من الازمة المالية الي جانب اصدار الحكومة اوراق نقد بكميات كبيرة .

القانون الكنسي المدني :

أدرك الثوريون أن بقاء الكنيسة بوضعها المادي والاجتماعي أبقاء للنظام القديم ومن ثم صار الاقتناع بضرورة حرمانها من امتيازاتها ومن ثم أصدرت الجمعية الوطنية ما عرف باسم القانون الكنسي المدني في ١٢ يوليو ١٧٩٠م الذي نص علي الغاء الاديرة وطوائف الرهبان ومصادرة أموالها في نظير مرتبات تدفعها الدولة لرجال الدين، ونص علي انتخاب الاساقفة والقساوسة بواسطة الشعب كما يحدث للقض اة ، كما نص علي تعديل توزيع الاسقفيات بما يتفق مع التنظيم الاداري الجديد ، ونص علي زيادة مرتبات القساوسة ( أي صغار رجال الدين وأنقاص مرتبات الأساقفة ( أي كبار رجال الدين ) وذلك كله دون أن يكون للبابا دخل أو سلطة يمارسها .

ورغم استنكار البابا ورجال الدين الفرنسيين لهذا القانون فقد اضطر الملك إلي التصديق عليه في ٢٤ اغسطس ١٧٩٠م ، واصدرت الجمعية الوطنية قرارا بأرغام رجال الدين المعترضين علي القسم بالولاء للقانون . وان كان هذا القانون قد أحدث انقساما في الشعب الفرنسي لأنه من معتقداته الدينية التي درج عليها سنو ات طويلة وكان استياء الملك اشد .

**سادسا : هرب الملك :**

**ضاق الملك ذرعا بالقرارات التي تصدر من الجمعية الوطنية واستمع لنصائح الملكة ورجال حاشيته بالخروج من باريس والزحف عليها بعد تاييد قوته وانهاء الثورة واستعادة سلطته المطلقة وكان ميرابو خير ناصح للملك بعد أن ضاق ميرابو أيضا باجراءات الجمعية التي تسلط عليها اليعاقبة المتطرفون وخرج الملك وأسرته من باريس في اتجاه الحدود عند متز Metz في ليلة ٢١ يونيو ١٧٩١م حيث كان ينتظرهم جيش إلا أن الشعب أكتشف موكب الملك عند فارن varennes قبل أن يصل إلي غايته بقليل، وأعادة الشعب إلي باريس في جو من الأحتقار.**

**وثارت مناقشات حول مصير التاج وصاحبه أى مصير الملكية ولويس السادس عشر خاصة بعد أن اكتشف الشعب أن الملك كان قد ترك رسالة قبل هربه يعلن ليها أن كل ما وافق عليه منذ جلسة ٢٣ يونيو ١٧٨٩م كان بالرغم من أرادته وأنه فى حل من الوفاء بتنفيذه وأنقسمت الآراء فى الجمعية الوطنية بين فريقين: اليعاقبه المتطرفون الذين جاهروا لأول مرة بضرورة إلغاء الملكية وأعلان الجمهورية بدعوى أن محاولة الملك الهرب خيانة للشعب ، والفريق الثانى الذين عرفوا باسم الفويان feuillant نسبة إلى الدار التي كانوا يجتمعون فيها وكانت قبلا لجماعة دينية بهذا الاسم- وهذا الفريق يمثل الاعتدال فى الجمعية ولذلك طالب نوابه باعادة الملك إلى عرشه مع تقييد سلطته أكثر مما كانت عليه ، وقد أصدرت الجمعية قرارها بما يتفى المعتدلين رغبة فى تجنب الأزمة التى تعقب إلغاء الملكية فأعيد الم لك إلى وظائفه ورفع على الدستور فى ١٤ سبتمبر ١٧٩١ م.**

**إلا أن قرار الجمعية المعتدل أثار المتطرفين اليعاقبه فدبروا مظاهرة لأرهاب الجمعية وثنائها عن قرارها . وقد أفلحوا فى دعوتهم اذا اجتمع خلق كثير من الغوغاء فى ساحة champ de mars شام دى مأرس أيام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ يوليو ١٧٩١م كأول مظاهرة جمهورية ولكن لافياييت أمر باطلاق النار على المتظاهرين فى ١٧ يوليو فتشتت وروبسبيير Danton شملهم واختفى على أثر ذلك زعماء المتطرفين أمثال دائنتون**

وغيرهم خوفا على حياتهم وأكدت الجمعية قرارها السابق بشأن الملكية marat ومارا باصدار العفو الشامل عن المشتركين أو المتعاونين فى مسالة هرب الملك ، ثم اصدرت قرار بانفضاض جلساتها فى ٣٠ سبتمبر ١٧٩١م .

الجمعيات التشريعية

تم انتخاب أعضاء الجمعية التشريعية طبقا للدستور من ٧٤٥ عضوا معظمهم من طبقة البورجوازية من الشباب المتعلم ولكن قليل الخبرة بالامو ر السياسية والتشريعية، وبدات الجمعية أولى جلساتها أول اكتوبر ١٧٩١م ومهمتها الأساسية تنفيذ مواد الدستور وحماية نتائج الثورة من عبث العابثين . وأن كان يؤخذ على أعضاء الجمعية المتحمسين عدم اتخاذهم الحذر لحماية الشعب من نفسه بعد أن سلبوا السلطة من الملك لحماية الشعب عنه.

أولا : أحزاب الجمعية :

كان الصراع فى عهد الجمعية الوطنية قائما على مسائل دستورية بين النواب وأصبح الصراع فى الجمعية التشريعية بين الاحزاب قائما على الاستئثار بالسلطة . وهذه الاحزاب واتجاهاتها السياسية توضح لنا طبيعة الصراع فى تلك المرحلة.

حزب اليسار :

سمى هذا الحزب باليسار نظرا لتطرفه فى موقفه من الملكية ومناداته بالعنف فى اجراءات الثورة ، وكان يضم فريقين : اليعاقبة المعتدلين والذين عرفوا بالجيروندويين التى يمثلونها فى الجمعية والفريق الثانى هم Gironds نسبة الى مقاطعة الجيروند الذين عرفوا بهذا الاسم لانهم اتخذوا لهم مكانا فى نهاية Montagniards الجبليين الطرف الايسر للقاعة وهو مكان مرتفع يجلسون فيه ، وكانوا يمثلون التطرف فى هذا الحزب ويستمدون التأييد والمساندة مع نادى اليعاقبة بزعامة مكسملياني يوسبيير ودانتون ويرهم ، وكان هؤلاء المتطرفون يسعون للقضاء على المكلية وانشاء الجمهورية ، ويعتمدون على هياج المتظاهرين من جماهير باريس فى تنفيذ خططهم وتحقيق أهدافهم ، وكان حزب اليسار يضم أقدر رجال الجمعية على الخطابة والأقناع والتأثير.

حزب اليمين :

اتخذ اعضاء هذا الحزب موقفا يؤيد الدستور وحقوق وسلطات الملكية بما يكفل الحريات العامة ويضمن الأمن والنظام ولذلك عرف أعضاء هذا الحزب – وهم جماعة الفتيان – بانهم ملكيون دستوريون، وكانوا على اتصال بالملك وكان لافاييت اقوى انصارهم خارج الجمعية.

حزب الوسيط :

اتصف أعضاء هذا الحزب بالحذر والتردد دون أن يكون لهم رأى محدد فتارة يؤيدون اليسار وتارة أخرى يؤيدون اليمين وأن كان وقوفهم مع الجيروند كان الصفة الغالبة لهم وكان موقفهم هذا سببا فى أن يفقدوا تأثيرهم وفى ضياع شخصيتهم الواضحة.

ثانيا : الموضوعات العاجلة أمام الجمعية :

كان على الجمعية التشريعية أن تعالج ثلاثة موضوعا ت عند بداية اجتماعاتها ، وهذه الموضوعات التنافس والصراع الحزبى على اشده ، وهذه الموضوعات هى

١- المهاجرون الفرنسيون :

يمثل المهاجرون الفرنسيون خطرا يهدد الثورة الفرنسية خاصة وأن هؤلاء المهاجرين بزعامة الكونت دى أرتوا شقيق الملك أخذوا يجيشون الجيوش للانقضاض على الثوار فى فرنسا ومن ثم كان على الجمعية أن تعالج هذا الخطر فاصدرت قرارين فى ٣٠ أكتوبر ١٧٩١م يطلب من الكونت دى بروفتس شقيق الملك ( وذلك أصبح فيما بعد لويس الثامن عشر ١٨١٤-١٨٢٤ م) العودة إلى فرنسا خلال شهرين وإلا فقد حقه فى الوصاية على المملكة . والقرار الثانى صدر بتاريخ ٩ نوفمبر ١٧٩١م ويقضى باعتبار المهاجرين الفرنسين بصفة عامة موضع اشتباه بتهمة التآمر ضد فرنسا وانذارهم بالعودة وفك حشودهم فى موعد غايته أول يناير ١٧٩٢ م وإلا صودرت أموالهم وأصدار أحكام بالأعدام ضدهم.

فماذا كان موقف الملك ؟ ..... وافق على القرار الاول واستخدم حق الاعتراض على القرار الثانى ووجه بدلا منه منشورا إلى المهاجرين يدعوهم فيه إلى العودة إلى البلاد وإلا تعرضوا للعقاب ، ولكن ذلك اغضب اعضاء الجمعية واتهموا الملك بانه شريك مع المهاجرين فى التآمر ضد الثورة.

رجال الدين المستنكرين :

كان الموضوع الثانى الذى كان على الجمعية معالجته هو موقف رجال الدين المستنكرين للقانون الكنسى المدنى والذين رفضوا حلف يمين الولاء فاصدرت الجمعية قرار فى ٢٩ نوفمبر ١٧٩١م يقضى بحرمان رجال الدين المستنكرين من المعاشات أو المرتبات التى قدرت لهم بعد مصادرة أملاك وأموال ا لكنيسة لصالح الدولة . وقررت الجمعية أيضا وضع رجال الدين المستنكرين تحت المراقبة.

فماذا كان موقف الملك ؟ استخدم حق الاعتراض بدعوى أن هذا القرار فيه اجحاف برجال الدين ، وقد شجع الملك على وقفته هذه تشكيل الوزارة من الحزب الملكى الدستورى وهو الفويان ، إلى جانب فوز بتيسون مرشح البلاط بمنصب عمدة باريس ، وأن جاء تشكيل مجلس بلدية باريس من أنصار الثورة المعروفين مثل روبسبيير ودانتسون.

العلاقات بين فرنسا والدول الاوربية.

تضافرت عدة عوامل حتى جعلت العلاقات بين فرنسا والدول الأوربية سيئة بل تسير نحو القطعية فالحرب بين الطرفين ، وأول هذه العوامل أحساس ملوك أوربا بضرورة مساعدة الملك الفرنسى ضد قوى الثورة المتسلطة فى فرنسا والتى سلبت الملك كل سلطة خاصة وأن هناك صلات قربى بين الملكية الفرنسية وبعض ملوك وأمراء أوربا . فملك اسبانيا وملك نابلولى من أسرة البوربون التى منها لويس السادس عشر، بينما ليوبولد الثانى أمبراطور النمسا شقيق للملكة مارى انطوانيت.

وثانى هذا العوامل ما شعر به ملوك أوربا من خطر ياتى لهم من اجراءات الثورة ومبادئها كالدستور وأعلان حقوق الانسان والمواطن وهى المبادئ التى أصر الثوار على نشرها بين الشعوب الأوربية و دعوة هذه الشعوب للثورة ضد العروض الاستبدادية ، مما يتناقض تماما مع مبدأ الملكيات الاوربية واعنى حق الملوك الالهى فى الحكم.

وثالث هذه العوامل أن بعض ملوك أوروبا رأوا فى الاضطرابات السائدة فى فرنسا والصراع بين الثورة وبقايا النظام القديم فرنسا لأضعاف فرنسا و اغتصاب املاكها، ومن ثم أخذت الدول الأوربية تترك خلافاتها الجانبية ووجهت أنتباها إلى فرنسا وخاصة النمسا وبروسيا التى وجدت من الاعذار ما يدعوها للتدخل ، فالنمسا تدافع علن الملكية باعتبار مارى انطوانيت نمساوية وبروسيا ساءها هضم حقوق الأمراء الالمان على يد الثورة الفرنسية.

الى جانب أمتلاك باريس بونود شعبية من المانيا وسويسرا وايطاليا وغيرها تطالب رجال الثورة بمساعدتهم على نيل حريتهم كما نالها الشعب الفرنسى.

وكانت شكاوى الأمراء الالمان المقيمين على حدود فرنسا الشرقية وخاصة فى اقليم الالزاس Alsace من مصادر الثورة لاملاكهم رغم تعويضهم أمام الدياط المجلس الامبراطورى من العوامل التى حركت كل من النمسا وبروسيا خاصة أن طال اعضاء الدياط من الأمبراطور باتخاذ الأجراءات لضمان سلامة حقوق الأمراء الالمان

وكانت ملكا Venaissan هذا بالاضافة إلى أن فرنسا احتلت كونتيه فنيسان ضد البابا وكانت هى الاخرى من أملاك Avgnon للبابا- وذلك عقب قيام أهالى افينيون البابا – وأعلان انضمامهم إلى فرنسا ، وأصدرت الجمعية التشريعية قرارا بادماج المنطقتين فى فرنسا وأنشاء مديرية واحدة جديدة منهما هى المديرية الرابعة والثمانون.

ورابع هذه العوامل هو تح ركات المهاجرين الفرنسيين على الحدود الفرنسية واستغلالهم للاحداث السابقة فى استعداء الملوك وتجميع الانصار من الناقمين على الثورة الفرنسية بقصد تأليف محالفة اوروبية تساندهم فى مسعاهم للقضاء على الثورة واعادة النظام القديم.

ثالثا : الحرب بين فرنسا وأوروبا :

تجمعت هذه العوامل لتحديد مسار العلاقات بين فرنسا والدول الاوروبية فى طريق الصدام بين الفريقين ، فقد أصدر الأمبراطور ليوبولد الثانى منشورا فى مدينة بادوا Padua بتاريخ ٦ يوليو ١٧٩١ م يدعو فيه الدول الاوروبية إلى عدم الاعتراف بالاجراءات التى اتخذتها الجمعية الوطنية الفرنسية – والتى استمرت جلساتها الى ٣٠ سبتمبر – مادام الملك مجردا من حريته ولم يقبلها هو بمحض ارادته ويدعو إلى استخدام السلاح لأرغام الجمعية والحكومة حتى يستعيد الملك كل سلطاته . واتبع الأمبراطور ذلك باصدار تهديدات لفرنسا من بلنتز حيث اجتمع هو وملك بر وسيا فرديك وليان الثانى فى ٢٧ أغسطس مؤدى هذه التهديدات هو نفس ما جاء بمنشور بادوا وقد فرح المهاجرون الفرنسيون من التهديدات الأوربية وأرسلوا منشورا لزعماء الثورة توعدوهم فيه بكل عقاب صارم.

فماذا كان الموقف فى فرنسا ؟ كان لابد أن تؤدى هذه التهديدات إلى ردود أفعال متتالية فاصدرت الجمعية عدة قرارات بانذار المهاجرين بالعودة وإلا اعتبروا شركاء فى التأمر على البلاد ويكون جزاءوهم مصادرة اموالهم والموت وقرارا بنفى كل من لا يقسم يمين الطاعة والاخلاص للدستور من رجال الدين . وقرارا باعلان الحرب ضد الامبراطورية فى ٢٠ ابريل ١٧٩٢ م اعلنه الملك بنفسه.

كان اعلان فرنسا الحرب ضد النمسا وبروسيا مفاجاة لأوروبا خاصة أن فرنسا ليس لديها جيش نظامى منذ تفجر الثورة وأنما كان جيشها كوامة المتطوعين المتحمسين غير المدرسين تدريبا كافيا وغير المسلحين بكفاية ، فى الوقت الذى كان الجيش المعادى البروسى يضم ثمانين الفا فى مقدمته المهاجرين Brunswickبقيادة برنسويك الفرنسين.

أصدر برنسويك فى ٢٥ يوليو ١٧٩٢م بلاغا توعد فيه باريس بالتدبير اذا اصاب الأسرة المالكة أى سوء أو اذا قاوم جيوشه مقاوم ، وقد عجل هذا البلاغ بزحف الجيوش الفرنسية على بلجيكا – وهى تابعة للنمسا – وهم يرددون نشيد المارسيلييز الذى وضعه احد ضباط سلاح المهندسين واسمه روجيه دى ليل Marseillaisa Rouget de l'isle.فى بلدة ستراسبورج لجيش الراين

وكان من الطبيعى أن ترتد الجيوش الفرنسية غير المنظمة أم الجيوش المعادية المتقدمة Valmyوالتى استولت على كثير من المدن الفرنسية حتى اصطدموا عند تلال فالبى الذى ثبت فى مكانه واوقف تقدم Demouriezبجيش فرنسى يقوده ديموربيه النمساويين مما اضطر برنسويك إلى الأتفا ق مع يموربيه على الأنسحاب من الاراضى الفرنسية دون قتال ولذلك تعتبر موقعة فالمي على صغرها من أهم مواقع التاريخ لانها ولدت فى فرنسا وجيشها تلك الثقة بالنفس التى جعلتها مصدر الفزع لأوروبا مدة طويلة وبأتفاق برنسويك وديموريه فى ٢٠ سبتمبر ١٧٩٢ م زال الخطر الذى يهدد فرنسا من قبل ملوك أوروبا إلى حين.

رابعا : الموقف في فرنسا أثناء الحرب :

تم أعلان الحرب في عهد وزارة من الجيروند إلا أن هذه الوزارة سقطت أثناء المعارك التي تقهقرت فيها الجيوش الفرنسية وكانت الجمعية التشريعية قد أتخذت عدة

قرارات الأولي يقضي بحل حرس الملك الخامس، والثاني يقضي بأنشاء معسكر بالقرب من باريس لتدريب ٢٠ ألف متطوع من الشعب من جميع أنحاء فرنسا والقرار الثالث يعطي السلطات الادارية في الاقاليم حق نفس القساوسة المستنكرين من فرنسا اذا شهد ضدهم عشرون من المواطنين .

فماذا كان موقف الملك ؟ وافق علي القر ار الأول وأعترض علي القرارين الثاني والثالث وقد فسر الوطنيون موقف الملك هذا واقاله وزارة الجبروند بأنه يتامر ضد الوطن متعمد علي قرب وصول الجيوش الأجنبية ولذلك أخذ اليعاقبة الجبليون والجبيروند يدبرون المظاهرات بقصد التخلص من الملكية فانتهزوا فرصة يوم ٢٠ يونيو ودبروا مظاهرة بحجة الأحتفال بذكري ميثاق ملعب التنس واتجهت هذه المظاهرة إلي الجمعية التشريعية وإلي قصر التويلري ولكن الملك قابل المتظاهرين بثبات وحكمة جعلتهم يرتدون دون أن يظفروا بغايتهم .

استاء اليعاقبة من فشل خطتهم فاخذوا يتهمون الملك بأنه سبب كل الأخط ار التي تهدد الوطن وانتهزوا فرصة مرور المتطوعين داخل باريس في طريقهم إلي معسكرهم الذي وافق الملك أخيرا علي أقامته في سواسون وهم ينشدون المارسيليز مما الهب مشاعر الجماهير فاسرعت الجمعية التشريعية إي أن تعلن في ١١يوليو ١٧٩٢م بان الوطن في خطر وأن الواجب يقتضي اتخاذ الاجراءات الضرورية لدفع الخطر فاعأدت بتيون إلي منصب باريس وكان قد أقصي عنه في عهد وزارة الغويان – وأرغمت الملك علي تجديد قسم الولاء للدستور الثاني أثناء الاحتفال بعيد ١٤ يوليو .

واتخذ اليعاقبة الجيليون والجيروند لتدبير هجوم جديد ضد الملكية فقامت ال مظاهرات بتدبيرهم اعتبارا من ٣ أغسطس ١٧٩٢م تطالب بخلع الملك ودعوة مؤتمر وطني وحل الجمعية التشريعية وقامت مظاهرة في ١٠ اغسطس تزعمها دانتون باقتحام قصر التويلري – ففر الملك وأسرته إلي قاعة الجمعية فانتهت المظاهرة إلي الجمعية حيث اجبرت الجمعية علي أصدار عدة قرارات كان الأول يقضي بوقف الملك عن العمل وايداعه واسرته في قصرلكسمبرج ، وان يترك البت في مصير العرش إلي مؤتمر وطني يدعي لهذا الغرض ولمراجعة الدستور وكان القرار الثاني تشكيل وزارة جديدة كان دانتون صاحب اليد العليا فيها، والقرار الثالث الموافقة علي تشكيل مجلس بلدي باريس من الثوريين

المتطرفين برئاسة دانتون الذي عمد بصفته رئيسا للقومون الثوري الي الاستئثار بكل وظائف الحكم .

وتوالت الأحداث التي وجهها قومون باريس بعد أن انتزع كل شئون الدفاع والأمن من الجمعية التشريعية، وبعد أن صار دانتون دكتاتورا حقيقا علي باريس ب أمرها وأخذ علي عاتقه وحدة الدفاع عنها بكل الوسائل والطرق ضد أعداء الوطن الخارجيين والداخليين علي حد سواء وكان شعار دانتون : أرهاب الملكيين والقاء الرعب في قلوبهم .

وقد شارك روبسبيير دانتون في سلطات الحكم في فرنسا بعد حوادث ١٠ أغسطس ١٧٩٢م.

وفي ١٣ اغسطس نقل الملك واسرته من قصر لكسمبرج إلي سجن الهيكل القديم، وأرغمت الجمعية علي أنشاء محكمة أستثنائية في ١٧ أغسطس لمحاكمة أعداء الشعب الذين ساهموا في المؤامرة ضد الامة تكون احكامها نهائية ونفذت القرارات الخاصة بمصادرة أملاك المهاجرين ونفي القساوسة المستنكرين وأعطيت ا لبلديات السلطة في القاء القبض علي المشتبه في عدم ولائهم للثورة .

ونتيجة لذلك تلقت السجون في باريس والأقاليم الافا من النبلاء ورجال الدين المستنكرين والضباط وغيرهم . وبدات المذابح لهؤلاء المسجونين منذ ٣ سبتمبر التي عرفت بمذابح سبتمبر التي راح ضحيتها الافا من الذين القي بهم في السجون بحق او بدون وجه حق .

وفي اثناء شهر سبتمبر أجريت انتخابات للمؤتمر الوطني كانت شروطها لا تتفق مع نصوص دستور ١٧٩١م حيث الغي النصاب المالي للمرشح وأنقضي سن الناخب إلي ٢١ سنة كما اصبح من حق أعضاء الجمعية الوطنية والجمعية التشريعية ان يكونوا نوابا في المؤتمر الوطني وفي ٢١ سبتمبر ١٧٩٢م أجتمع المؤتمر الوطني وباجتماعه انحلت الجمعية التشريعية بعد أن تم علي يديها هدم الملكية والدستور نفسه .

المؤتمر الوطني

اولا : احزاب المؤتمر :

جاء نواب المؤتمر الوطني البالغ عندهم ٧٤٩ باتجاهات يسارية ضد الملكية ولهذا لم يظهر بينهم ملكيون أو دستوريون وبذلك تشكل المؤتمر من الأحزاب الأتية :

**حزب اليسار :**

**واعضاؤه من اليعاقبة المتطرفين المعروفين بالجبليين وتزعمهم دانتون وروبسبيير وغيرهم من النواب المتصفين بالجرأة واشد ترابطا فيما بينهم تساندهم من الخارج المؤتمر مدي نة باريس والقومون والجماهير، وتحددت أهدافهم في ضرورة استمرار الثورة وانتزاع السلطة لانفسهم .**

**حزب اليمين :**

**اتخذ الجيروند في المؤتمر موقفا معتدلا لذلك عرفوا بحزب اليمين وكانوا يعتمدون علي تفوقهم العددي وتأييد أقاليم لهم وسيطرتهم علي الوزارة وكان غرضهم اخضاء قومون باريس للطاعة وتحرير المديريات من سيطرة باريس عليها والقضاء علي مطامع اليعاقبة الجبليين .**

**حزب السهل :**

**ويمثله في المؤتمر عدد من النواب المستقلين الذين لا ينتمون إلي اليسار أو اليمين وكانوا يدلون بأصواتهم مع الحزب الأكثر قوة والأسرع حركة .**

**ورغم أن الحزبين الرئيسيين اتفقا علي الغاء الملكية وأعلان الجمهورية في ٢١ سبتمبر ١٧٩٢م وتشكيل لجنة لوضع دستور جديد ، وأعادة أنتخاب الهيئات الأدارية والقضائية ونفي المهاجرين نفيا أبديا وأعدام كل من يعثر عليه منهم في الأراضي الفرنسية ورغم هذا الاتفاق فقد شغل المؤتمر بالخلاف بين هذين الحزبين حول المسائل العامة في الدولة وأخذ كل فريق يكيل الأتهامات للفريق الأخر وخاصة تهم الخيانة والدكتاتورية وقد أدي ذلك إلي قوة اليعاقبة رغم قلة عدهم وضعف الجيروند رغم كثرة عددهم في المؤتمر .**

**ثانيا : المؤتمر وأوربا :**

**بدا المؤتمر عهده في اليوم الثاني لمعركة فالمي التي صمد فيها الفرنسيون أمام النمساويين والبروسيين ومن هنا شعر الأعضاء والشعب الفرنسي بثقة عظيمة فلم يعود وا يقتعون بمجرد الدفاع عن حدودهم بل أراد أن ينشروا مبادئ الثورة بالقوة وأن يحرضوا الشعوب الأوربية علي الثورة ضد حكامهم ومن ثم أصدر المؤتمر نداء يدعو فيه الشعوب المتذمرة من حكامها إلي طلب النجدة من فرنسا وجاء هذا النداء في ١٩ نوفمبر ١٧٩٢م.**

وكان لابد من صدام مسلح بين الجيوش الفرنسية والجيوش المعادية وقد أسفر هذا الصدام عن انتصارات عدة للجيوش الفرنسية في ضم نيس وسافوي إلي فرنسا في mainz ومينز warms وورمسيspeierنوفمبر ١٧٩٢م والاستيلاء علي سبير في أكتوبر ١٧٩٢م وأحتلال بلجيكا في نوفمبر ١٧٩٢م بقيادة ديموريية، وقد رحب اهل بلجيكا بالجيوش الفرنسية التي خلصتهم من النمساويين وأصبح من المتوقع سقوط هولندا في يد الفرنسيين بسهولة بعد هذه الانتصارات السريعة

ونتج عن هذه الانتصارات السريعة أن المؤتمر الوطني رغب الاستفادة منها في المجال الأوروبي فأصدر قرارا دعائيا في ١٥ ديسمبر ١٧٩٢م يوضح عداء المؤتمر لملوك أوروبا وحكوماتها حيث طلب القرار من قادة الجيوش الفرنسية الذين يفتحون بلادا أوروبية أن يلغوا فيها النظام القديم برمته

ويقيموا بها نظاما جديدا علي النسق الفرنسي الثوري بسيادة الشعوب وأن يصادروا أملاك و أموال الملوك والحكام لحساب الجمهورية الفرنسية وأملاك الأديرة والنقابات وكل ذلك سدا لنفقات حروب التحرير، بحيث تتحمل كل بلد نفقات الجيوش الفرنسية التي حررتها وكان تنفيذ ذلك فيه شطط أساء إلي البلجيكيين ونفرهم من الحكم الفرنسي منذ البداية .

ثالثا : محاكمة الملك وأعدامه :

كانت محاكمة الملك والدعوة إلي أعدامه من الأمور الهامة التي زايدت عليها الأحزاب في المؤتمر الوطني اذا لم يلبث حزب الجيل أن أكتشف وسيلة جد يدة يهزم بها خصومه من حزب الجيروند وتمكنه من السيطرة في المؤتمر وكانت هذه الوسيلة هي المطالبة بمحاكمة الملك وأعدامه بأعتباره عدو وللأمة وبعد مساجلات داخل المؤتمر تقرر في ٢ ديسمبر ١٧٩٢م محاكمة الملك .

بدات محاكمة الملك أمام المؤتمر الوطني في ١٣ ديسمبر وكانت الجيروند يرجون انقاذ الملك من الأعدام لكنهم لا يستطيعون أن يجهروا بذلك خاصة وأن خصومهم الجبليين كانوا يسعون من البداية لاعدام الملك حتي دون محاكمة ودارت المناقشات في المؤتمر لمدة شهر تقريبا حول نوع العقوبة التي توقع علي الملك وهل يتم استفتاء الشعب حول محاكمة الملك ؟ وقد أقر المجلس أن الملك مذنب وأنه لاداعي لأستفتاء الشعب، وأما نوع العقوبة فقد أصر الجيليون علي أعدام الملك ومن ثم استخدموا وسائل

الأرهاب ضد أعضاء المؤتمر المعارضيين كالمناداة علي الاسم في التصويت ، وأن يذهب كل عضو إلي منبر المؤتمر وأعلان رأيه من هناك واحتطاد الجماهير في قاعة المؤتمر وكان لهذه الوسائل اثرها في أرهاب كثير من الاعضاء وجعلهم يصوتون الي جانب راي حزب الجيل . ومن ثم أسفر التصويت في ١٧ يناير ١٧٩٣ م بأغلبية ليست كبيرة عن قرار بأعدام الملك بينما صوتت الأقلية إلي جانب سجن الملك أو نفيه وفي ٢٠ يناير سمح للملك بأن يودع وأسرته الوداع الأخير . وفي ٢١ يناير نفذ فيه حكم الأعدام بميدان الكونكورد بباريس وكان أخر ما نطق به أنني برئ ولكن فليكن دمي فداء سلام وسعادة أبناء فرنسا .

كان لأعدام الملك نتائج داخلية وأخري خارجية ، فاما النتائج الداخلية فتمثلت في أن الثوار المتطرفين راوا أنه قد تحتم عليهم المضي فيما شرعوا فيه من الأرهاب سواء رغبوا في ذلك أم كرهو حتي لا تسنح الفرصة للرجعيين وأنصار الملكية بالثار منهم الامر الذي جعل هؤلاء الثوار يسيرون من تطرف إلي تطرف أشد منه كما أنه من النتائج الداخلية ذلك السخط الذي عم داخل فرنسا علي اليعاقبة المتطرفين بتحريض من الجيروند حتي انتشرت الفتن الداخلية تهاجم قرارات التجنيد العام وأهانة رجال الدين وذلك منذ ٢٤ فبراير ١٧٩٣م وخاصة في أورليان وأميان واقليمي فنديه vendee و بريتاني brittany. وغيرهما من معاقل النظام القديم

كذلك من نتائج أعدام الملك الداخلية ما عرف بخيانة القائد ديميوربية فقد أستاء لذلك القائد المنتصر من تصرف المتطرفين وأتخذ خطه يزحف بها علي باريس لتخليص فرنسا من طغيان المؤتمر الوطني وقلب الجمهورية و أعادة الملكية بأرجاع دستور عام ١٧٩١ وتتويج لويس فيليب أحد ضباطه والذي حكم فرنسا من ١٨٣٠ – ١٨٤٨م ، ولكن هذه الخطة فشلت فهرب ديموربية إلي النمسا وظل بعيدا عن فرنسا حتي توفي بلندن عام ١٨٢٣م

واما نتائج أعدام الملك الخارجين فتتمثل في الفزع الذي لحق بملوك أوربا وفي فقدان عطف الكثيرين من الأوروبيين علي فرنسا فتالف التحالف الأوروبي الدولي الاول من أنجلترا والنمسا وبروسيا وأسبانيا وكانت أنجلترا هي الروح المحرك لتلك المحالفة الدولية فبادرت فرنسا بأعلان الحرب بقرار من المؤتمر الوطني في أول فبراير ١٧٩٣م

ضد كل من أنجلترا وهولندا أما أسبانيا ففي ٧ مارس وعند اصطدام الجيوش المتحاربة أرتدت الجيوش الفرنسية فخشي المتطرفون اليعاقبة من تاثير ذلك علي الشعب الفرنسي فأظهروا كفاءة ونشاطا للدفاع عن الوطن وضد الاخطار المحيطة بفرنسا – فاخذوا يحثون الشعب الفرنسي حتي تحولت البلاد إلي ثكنه عسكرية لكل فرد فيها دورة فالشباب اشتركوا في المعارك والشيوخ لأستنهاض الهمم والنساء للتمريض والحياكة والأولاد والرجال للعمل في الحقول ومصانع الأسلحة والذخيرة .

الذي لا يكاد التاريخ يعرف له carnot وبهذا النشاط الذي كان محوره كارنو مثيلا في قدرته العجيبة علي وضع الخطط الحربية وأعداد تنظيم الجيوش وتجهيزها للقتال ثم تحويل الأرتداد إلي أنتصارات خلال عام واحد أكتسحت أثناء الجيوش الفرنسية الأراضي المنخفضة – بلجيكا – مرة ثانية وأحتلت ضفة نهر الراين اليسرى وأجبرت الأسبان علي التراجع إلي ما وراء جبال البرانس وبذلك تحقق ما كانت تحلم به فرنسا من قديم في الوصول إلي الحدود الطبيعية : الراين والبرانس .

رابعا : اجراءات المؤتمر :

كان للأحداث الخطيرة التي تعرضت لها الجبهة الداخلية في فرنسا وتلك التي تواجه الثورة الفرنسية من الدول الأوروبية أن أتخذ المؤتمر الوطني عدة أجراء ات لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية كان من نتائج هذه الأجراءات التمهيد للقضاء علي حزب الجيروند وأنشاء دكتاتورية حزب الجيل، بما أدي في النهاية إلي قيام عهد من الأرهاب وسفك الدماء .

وتمثلت هذه الأجراءات في أنشاء لجنة الأمن العام في أكتوبر ١٧٩٢ م وتشكيل لجنة للدفاع العام الداخلي والخارجي عن الجمهورية في أول يناير ١٧٩٣م وأنشاء محكمة الثورة في ١٠ مارس التي تعتبر مسئولة عن أعدام مئات من الرجال والنساء بتهمة الخيانة العظمي معظمهم تهتم التشيع لآراء أقل تطرفا من أراء اليعاقبة .

كما تمثلت أجراءات المؤتمر الوطني في تشكيل لجنة الخلاص – لأنقاذ العام في ٦ أبريل ١٧٩٣م وأنشاء لجان للمراقبة العامة لمنح المؤامرات المناوئة للحرية التي يحيكها لمهاجرون الفرنسيون وملوك أوربا وغير ذلك من الاجراءات البوليسية الصارمة التي

جعلت الكثيرين من أبناء الشعب الفرنسي موضع شك وشبهة ومن ثم ي دفعون إلي المقصلة .

وكانت أشد هذه الأجراءات تطرفا تحويل لجنة الخلاص العام إلي سلطة عليا تولت حكم فرنسا بأسم حكومة الخلاص العام سيطر عليها المتطرفون ومارسوا حكما مطلق بحجة مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي تتعرض لها البلاد ومن ثم اتخذت عدة اجراءات ثوريةٍ بغرض قرض علي الاغنياء وأعلان التعبئة العامة لكافة المواطنين لمواجهة الأخطار الخارجية وتشكيل جيوش ثوري لإخماد الفتن الداخلية وأصدار قانون لتعقب المشبوهين المناوئين للحكومة والضرب بقوة علي أيدي التجار الجشعين المتلاعبين بأقوات الشعب .

والحقيقة فان هذه الحكومة قد نجحت في أخماد الثورات والفتن الداخلية ولم ينقض عام ١٧٩٣م حتي كانت فرنسا باسرها قد خضعت للمؤتمر الوطني ونجحت في التخلص من التهديدات الخارجية وتحويل موقف الارتداد إلي انتصارات للجيوش الفرنسية ضد انجلترا في الشمال الفرنسي وضد النمسا وبروسيا في الشرق عند الراين .

خامسا : الارهاب ونهاية المؤتمر الوطني :

اقامت حكومة الخلاص العام عهدا من الأرهاب وسفك الدماء بما اتخذته من اجراءات أشرنا اليها بدعوي حماية الجمهورية من أعدائها وقد تمثل عهد الأرهاب وهذا في التفتيش علي المشبوهين في مخابئهم والأرشاد عليهم ثم تقويم محكمة الثورة بنشاط وهمه باصدار احكام الاعدام بالمقصلة وينفذ الحكم فورا، وهكذا أصبح كل معارض لحكم اليعاقبة عرضه لأجراءات سريعة من القاء القبض ومحاكمة وأعدام في جو محموم كان ضحيته الأولي ٢٢ نائبا من الجيروند من الرجال المشهود لهم بالوطنية والملكة ماري انطوانيت في ١٦ أكتوبر ١٧٩٣م استمر عهد الارهاب سواء بالقتل بالمقصلة أو الأغراق في نهر اللوار كما حدث لثوار اقليم لافندية حتي صيف عام ١٧٩٤م علي يد زعماء حزب الجيل بزعامة روبسبيير .

واثناء عهد الأرهاب ظهرت انقسامات بين زعماء الثورة فجماعة يتزعمهم دانتون راوا ان سياسة الارهاب قد بلغت اقصي مداها ولم يعد لها مما يبررها ولابد من العودة

لسياسة الاعتدال بعد ان خفت وطاة الاخطار التي تهدد الثورة في الداخل والخارج وكان لهذه الجماعة جريدة تنشر اراءها وكانت الطبقة البورجوازية تؤيد جماعة دانتون.

إلا أن استمرار عهد الأرهاب علي يد روبسبيير بعد ان كان الناس قد اعتقدوا بزوال هذا العهد بالقضاء علي الهيبيرين قد جعل الناس يملون من المشاهدة الدموية التي زادت بصورة اكبر في عهد روبسبيير ويتمنون زوال وسبب هذه المشاهدة ، ومن ثم دبرت المؤامرات ضد روبسبيير اشترك في تدبيرها رجال مختلفون ال مبادئ والاخلاق لا يربطهم معا سوي الفزع من الفتك بهم حتي المؤتمر في ٢٧ يوليو ١٧٩٤م قرارا بالقاء القبض علي روبسبيير وكوتون وسان جوست وبعض انصارهم وسجنهم ومحاكمتهم شهر الحر الصنة الثانية **thermidor** واعدامهم في ٢٨ يوليو الموافق ١٠ ترميدور حسب التقويم الجديد

ولكان من نتائج قرار المؤتمر الوطني في ٢٧ يوليو بمحاكمة واعدام روبسبيير وانصاره والذي عرف بانقلاب ٩ ترميدور، أن شعر الشعب الفرنسي بان الواجب يتطلب أعادة الحياة الطبيعية إلي البلاد بانشاء حكومة معتدلة وتعقب الارهابيين والانتقام منهم الا انهم اعنق سواد الشعب ال فرنسي الذين استفادوا من الثورة لم يطالبوا بالقضاء علي الثورة وارجاع الملكية بينما ظهرت طائفة اخري من الشعب وهم الملكيون – اعتقدت ان الثورة قد انتهت وان الفرصة أصبحت سانحة أمامهم للإجهاز علي الثورة وأعادة النظام الملكي ومن ثم اثاروا الفتن في اقليم لافندية بمساعدة الانجليز . إلا أن الجيش الفرنسي خاض ضد الفتن معارك طاحنة من فبراير ١٧٩٥م إلي ٢٩ مارس ١٧٩٦م حتي قضي عليها .

كذلك كان من نتائج انقلاب ترميدور أن اغلق المؤتمر الوطني نوادي اليعاقبة وحل قومون باريس والغي كل القوانين الاستثنائية التي وضعها عهد الأرهاب وأ عادة تنظيم محكمة الثورة والغاء اللجان الثورية المحلية وأطلاق سراح المسجونين والقضاء علي ثورة اليعاقبة في ٢٣ يوليو ١٧٩٥م وبذلك تفزع المؤتمر الوطني لمواجهة الأخطار الخارجية فاستطاع الجيش الفرنسي أحراز عدة انتصارات علي كل من النمسا في الشمال بدخول بلجيكا وعلي أسبانيا وهولندا وأنجلترا وبروسيا وبعض الأمارات الالمانية وبهذه الانتصارات أنتهي الخطر الخارجي أو كاد علي الثورة الفرنسية ولم يقف معاديا لها سوي النمسا وأنجلترا وسردينيا بيدمونت .

**سادسا : دستور ١٧٩٥:**

**اتجهت انظار المؤتمر الوطني بعد أن تخلص من الفتنة الداخلي ة والأخطار الخارجية إلي وضع دستور جديد للجمهورية ، فوضع ما عرف بدستور العام الثالث للجمهورية أو دستور ١٧٩٥م وقد ناقش المؤتمر الوطني مواد الدستور التي بلغت ٢٧٧ مادة في أربعة عشر فصلا في جلسات امتدت من ٤ يوليو إلي ١٧ أغسطس ١٧٩٥م ، وتمت موافقة المؤتمر علي الد ستور في ٢٣ أغسطس الموافق ٥ فريكندور الثمر من السنة الثالثة للجمهورية .Fructidor**

**وقد وضعت السلطة التشريعية في هيئتين هما :-**

**١- مجلس الشيوخ : ووظيفة مراجعة قرارات المجلس الاخر والأعتراض علي ما لا يتفق مع المصلحة العامة ، ويتكون من ٢٠٠ عضو يزيد عن ٤٠ سنة بأع تبارهم يمثلون التعقل والحكمة.**

**٢- مجلس الخمسمائة ووظيفة وضع مشروعات القوانين فقط ، ويتكون من ٥٠٠ عضو يزيد عمرهم علي الثلاثين سنة ويسقط ثلث عددهم في كل عام .**

**وتمثلت الهيئة التنفيذية في هيئة من خمسة مديرين عرفت بحكومة الأدارة لكل عضو منهم ثلاثة شهور وبسقط واح د منهم سنويا بالأقتراع ، ومهمة حكومة الأدارة والسياسة والشئون الحربية ولهم كل الحقوق التنفيذية المعروفة من سياسة وجريمة وأدارية ولهم وزراء ستة ليسوا سوي رؤساء مصالح فحسب .**

**وقد حفظ هذا الدستور مصالح الطبقة البورجوازية الفنية والتي أفادت من الثورة بأقرار الحرية والأستقرار وحق التملك وتحدث عن واجبات الأنسان والمواطن الي جانب الحديث عن حقوقه .**

أ – حرب الوراثة الأسبانية.

حرب الوارثة في الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا) (١٦٦٧-١٦٨٩)
وتسمى The war of the queen تسمى هذه الحرب أيضاً حرب الملكة
The war of Davolution. في المراجع الإنجليزية

سبق أن ذكرنا أن لويس الرابع عشر تزوج من ماريا تريزا الإبنة الكبرى لفيليب الرابع ملك أسبانيا وفي عقد الزواج تخلى لويس الرابع عشر عن كل ادعاءات سواء في العرش الأسباني أو في الأراضي الأسبانية قد يطالب بها باسم زوجته وعن طريقها وفي مقابل هذا الشرط أن هناك شرط مقابل هو أن تدفع أسبانياً صداقاً ضخماً للعروس ماريا تريزا ولم تقف أسبانيا بشرطها. وحدث أن توفى في سنة ١٦٦٥ فيليب الرابع ملك أسبانيا وسرعان ما طالب لويس بنصيب زوجته في الإرث وقد حدده بجزء من الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا ) واستند في هذه المطالبة بأن الصداق المنصوص عنه في صلح البرانيز لم يسدد له وعلى ذلك فإن تعهده يسقط تلقائياً. كما استند في مطالبته على نص في قانون المواريث المعمول به آنذاك في بلجيكا وهو أن الممتلكات تؤول إلى ذرية الأب من زواجه الأول ولا تؤول إلى ذرية الأب من زواج لاحق وبمعنى آخر يحرم من الوراثة الأبناء الذين هم ثمرة الزواج الثاني أو الثالث وكان فيليب الرابع تزوج مرتين، المرة الأولى من اليصابات الفرنسية وكان من بين ما أنجبه منها ماريا تريزا والمرة الثانية من ماريا النمساوية وكان من بين ما أنجبه منها شارل الثاني الذي تولى فيما بعد عرش أسبانيا بعد وفاة أبيه فيليب الرابع.

وليس من العسير أن نعرف الأسباب التي جعلت لويس الرابع عشر بشخص بإبصاره نحو بلجيكا فهي مجاورة لفرنسا من ناحية الشمال الش رقي والحدود بينهما مشتركة وامتلاكها يكفل لفرنسا موقعاً ممتازاً على بحر الشمال وتستطيع أن تنافس بنجاح نشاط هولندا البحري ويجعل الأراضي الفرنسية مواجهة مباشرة لشواطئ انجلترا . كما أن بلجيكا بلاد مستوية التربة مما يجعل الاستيلاء عليها أمراً ميسوراً أمام قوات زاحفة جرارا .

ويلاحظ أنه في فترات القوة التي مرت بفرنسا كانت تضم إليها بلجيكا . فإذا انسلخت عنها كانت تراودها الآمال في إعادة ضمها إليها وتعد مشروعات سياسية لتحقيق هذا الضم . ويهمنا هنا أن نقرر أن بلجيكا قد بقيت ضمن الممتلكات الأسبانية بعد استقلال هولندا ولذلك كان يطلق على بلجيكا اسم الأراضي المنخفضة الأسبانية.

رفضت أسبانيا مطالب لويس الرابع ونشبت الحرب سنة ١٦٦٧ ولكن كان الأسبان أعجز عن مقاومة القوات المسلحة الفرنسية وبدأ أن زمام الموقف في يدها وأنها تنال انتصارات خاطفة سريعة وخشيت الدول الأوروبية أن تكتسح الق وات الفرنسية بلجيكا وينتهي الأمر بضمها إلى فرنسا وان على رأس هذه الدول هولندا فتكون التحالف الثلاثي من هولندا وانجلترا والسويد ضد فرنسا واعتقد المراقبون The Triple Alliance السياسيون في ذلك الوقت أن هذه الحرب سيتسع نطاقها وأنها سوف تستمر ستين عدداً -La- Aix ولكن فا جأ لويس الرابع عشر أوروبا بعقد معاهدة أكس لا شابل – ٤ مايو ١٦٦٨ وبمقتضاه تنازل لويس الرابع عشر إلى أسبانيا عن كل Chapelle الأراضي التي فتحها في بلجيكا ولم يستبق إلا بضعة بلدان أهمها شارل روا وكانت هذه المدن بمثابة موقع أمامية Bruges بروج Lilles وليل Charleroi يتخذها في المستقبل نقط وثوب إلى الأقاليم المجاورة . ولذلك لم يجانب المراقبون السياسيون الصواب حين فسروا معاهدة أكس لا شابل بأنها هدنة مؤقتة أو السكون المريب الذي سبق العاصفة وفعلاً لم تكد تمر أربع سنوات حتى اندلعت الحرب هادرة عنيفة.

الحرب الهولندية (١٦٧٢م-١٦٧٨م):

استشاط لويس غيظاً حين اعتقد أن هولندا كانت المحرضة الأولى على تكوين التحالف الثلاثي في فرنسا ١٦٦٨م واعتقد لويس أن هولندا تقابل بالإساءة الخدمات الجليلة التي أسندتها إليها فرنسا إبان حركة التحرير الهولندي ووقفت إلى جانبها في ثورتها ضد أسبانيا، كذلك كان يضايقه أنها دولة بروتستانتية وحكومتها جمهورية بينما هو كاثوليكي وحكومته ملكية مستبدة. وكان الهولنديون أكبر منافسين لفرنسا في ميدان التجارة الخارجية وعلى الرغم من أن كولبير كان حريصاً على عدم الزج بفرنسا في حروب طاحنة تستنفذ مواردها المالية وتضيع عليه ثمرة مجهوداته في إصلاح وتدعيم الاقتصاد الفرنسي إلا أنه كان في قرارة نفسه يرغب بحرب تخوضها فرنسا ضد هولندا أملاً منه في

أن هذه الحرب سوف تعصف بأكبر منافس تجاري لفرنسا وبذلك تزول أكبر عقبة تقف في سبيل ازدهار التجارة الفرنسية وكانت هولندا هي الملاذ الذي يلجأ إليه المنفيون الفرنسيون أو المغضوب عليهم لأسباب سياسية أو دينية ونشرت في ربوع هولندا كتب هاجمت بعنف لويس الرابع عشر في أخلاقه وفي أساليبه السياسية في حكم فرنسا .

وزير حربيته أن Louvoisولهذه الأسباب اضمر لويس العداء لهولندا وزين له لوفوا الاستيلاء على هولندا هو أسهل الطرق للاستيلاء على بلجيكا كلها – ومن ثم عول لويس على تصفية حسابه مع هولندا ومضت الاستعدادات الحربية على قدم وساق يقوم بها لوفوا وزير الحربية بينما انصرف هو إلى العمل السياسي فعمل على عزل هولندا Doverسياسياً عن بقية دول أوروبا حتى يسه ل عليه ابتلاعها فعقد معاهدة دوفر السرية مع شارل الثاني ملك انجلترا تعهد فيها الأخير بأن يأخذ جانب فرنسا إذا طلب منه لويس ذلك وعقد معاهدة أخرى على غرارها مع السويد ثم مع بعض الإمارات الألمانية وفي مقدمتها براند نبرج وبافاريا ولما تم له عزل هولندا سياسياً أعلن عليها الحرب ووجد الهولنديون أنفسهم بدون حلفاء وكانوا منصرفين إلى مزاولة نشاطهم التجاري فلم تكن قواتهم مستعدة للحرب وكان على راس الجيش الفرنسي دوق كوندية والماركيزتورين وقد عبرت القوات المسلحة الفرنسية نهر الراين واستولت على المدن والقلاع واقتربت م ن مشارف أمستردام. وعبثاً حاول الهولنديون عقد صلح مع لويس الرابع عشر . ولكنه أبى إلا التسليم بدون قيد أو شرط وأدرك الهولنديون أنه حتى هذا التسليم المهين لن يعصم بلادهم من التخريب والدمار والضياع. ولكن حدث تغيير لم يكن في الحسبان إذ اندلعت ثورة قام بها الشعب الهولندي وجاء بوليم أورانج على رأس الحكومة ووليم أورانج هو حفيد وليم الصامت الذي طالما أفضى اجل الخدمات للبروتستانت في هولندا في القرن السابق ووضع الشعب في يده كافة السلطات وعقد عليه الآمال في إنقاذ البلاد على غرار ما فعل جده في ظروف قاسية حالكة. وكان وليم أورانج تولي فيما بعد عرش انجلترا باسم وليم الثالث.

عمل وليم أورانج كإجراء وقائي سريع على قطع حواجز البحر عند أمستردام فطفى الماء من السهول الخصبة في هولندا . وأوقف التوغل الفرنسي على حين تم عمل على تكوين تحالف دولي ضد فرنسا انضمت إليه أسبانيا التي قبلت أن تتحالف مع أعداء الأمس كما انضمت إليهم أمارة براندبرج وكذلك إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة الذي

أراد مساندة البولنديين ووقف الزحف الفرنسي ثم انضمت إنجلترا أخر الأمر إذ أجبر الشعب ملكة شارل الثاني على انتهاج سياسة تخالف ما اتفق عليه مع لويس في معاهدة دوفر وهكذا بدلاً من أن تهاجم إنجلترا الأراضي الهولندية ساعدت الهولنديين ضد فرنسا ويسمى هذا التحالف باسم تحالف لاهاي الأعظم ومع ذلك فقد احتفظ الجيش الفرنسي بتفوقه وانتصاراته وأخيراً عقد صلح نمجوين Nimegmen سنة ١٧٦٨م وبه اختتمت الحرب بين فرنسا وهولندا وبه حققت فرنسا لنفسها مكاسب إقليمية على حدودها الشمالية Francke-Comte كما تنازلت أسبانيا لها عن قسم برغندية الحر المسمى وعلى الرغم من أن الحرب الفرنسية ضد هولندا لم تحقق الهداف التي كان يصبو إليها لويس الرابع عشر فإنها انتهت بمكاسب ضخمة لفرنسا ولذلك يعتبر المؤرخون صلح نمجوين والذروة التي وصل إليها لويس من النجاح بسبب الأقاليم التي ضمتها فرنسا وبسبب المركز المرموق الذي ظلت إلى ذلك الوقت محتفظة به.

محاكم الضم:

سبق أن ذكرنا عند تناول موضوع صلح ستفاليا سنة ١٦٤٨م أن فرنسا حصلت بمقتضى هذا الصلح على بلاد الإلزاس وجزء من مدينة ستراسبرج كما تأيد من الناحية القانونية امتلاكها لكل من تزل مسترو فردان . وقد جاءت نصوص هذا الصلح مشوبه بالغموض في صياغتها إلغاء فيها أن استيلاء فرنسا على هذه الجهات يكون مقروناً بالحقوق والأقاليم التابعة لها وانتهز لويس الرابع عشر فرصة خروجه من الحرب الهولندية. وكانت أوروبا قد سئمت الحروب استنزفت مواردها في تمويل العمليات الحربية وقد عول لويس على تفسير هذه النصوص الغامضة تفسيراً يتمشى مع أطماعه في التوسع الإقليمي ولجأ إلى طرق تأباها العدالة فأمر بتشكيل محاكم فرنسية لحماً ودماً عرض عليها Chambres de Reunions تسمى محاكم الضم أو مجالس الضم ادعاءاته وقررت هذه المجالس في سنة ١٦٨١م ضم أجزاء كبيرة من إقليم الإلزاس إلى فرنسا وكان من أهم هذه الأجزاء مدينة ستراسبرج وهي مدينة ألمانية تابعة للإمبراطور وبنفس الأسلوب غير القانوني ضم لويس أيضاً سنة ١٦٨٤م مقاطعة لوكسم برج في في شمال إيطاليا عند سفح الألب . وكانت هذه Casale الشمال كما ضم مدينة كسال الجزاء بسبب موقعها على درجة كبيرة من الأهمية الإستراتيجية وقد ساء ألمانيا أكثر من وهو Diet غيرها هذا الإجراء التعسفي الذي أقدم عليه لويس الرابع عشر واجتمع الدايت

في سنة ١٦٨٤م للنظر في Rati sbonالمجلس الإمبراطوري في مدينة راتسبون الموقف الناشئ عن هذا الضم .وفوجئ الدايت بمذكرة يتلقاها من لويس يطالب فيها المجلس بإقرار عمليات الضم التي قام بها. وأنطوت المذكرة على تهديد سافر إذ قرر فيها لويس أنه سيعلن الحرب فوراً إذا اعترض المجلس على سياسة فرنسا. وقد تردد المجلس إزاء هذا التهديد الفرنسي. ولما كان الإمبراطور مشغولاً بمقاومة غزو الأتراك العثمانيين وتقدمهم فوق حوض نهر الدانوب فقد انتهى المجلس إلى الموافقة على المذكرة الفرنسية. وهكذا جاء اجتماع الدايت بنتيجة عكسية لأنه لم يسفر إلا عن تأيي د تفوق فرنسا في أوروبا. ولهذا يعتبر المؤرخون أن سنة ١٦٨٤م وهي السنة التي اجتمع فيها الدايت وأذعن لرغبة لويس كانت أقصى ما وصل إليه من نفوذ دولي مرموق في القارة الأوروبية– ومن هذه السنة بدأت قوة فرنسا تخبو وشيكاً إذ خاضت فرنسا عدة حروب أسفرت في النهاية عن هز يمتها في الخارج وبؤس مقيم حاق بالشعب الفرنسي . وعلى ذلك يمكن القول أن النصف الأول من حكم هذا العاهل اختلفت اختلافاً جوهرياً عن النصف الثاني من حكمه . كان الشطر الأول من حكمه يتسم بطابع العظمة والإزدهار بينما غلب على الشطر الثاني طابع الحروب والاضطرابات الداخلية. ولا بأس من أن نشير مسرعين إلى أسباب هذا التحول نحو الاضمحلال.

المسألة الدينية في سياسة لويس الرابع عشر:

كانت المسألة الدينية في مقدمة هذه الأسباب، انغمس لويس الرابع عشر في مطلع شبابه في حياة الترف واللهو والمجون وكان تأثير العامل الديني على سلوكه وتصرفاته ضعيفاً جداً فهو في هذه المرحلة لم يكن متدنياً . ولما انفرد بالحكم عول على أن يكون هو محور النفوذ والسلطة في المسائل السياسية بل والدينية أيضاً . ولذلك عمل على توطيد نفوذ التاج إزاء جميع السلطات الدينية. فخاض سنة ١٦٨٢م نزعة مع البابا تستهدف منه استقلا ل الكنيسة في فرنسا حتى تصبح بعيدة عن نفوذ البابوية كقوة قرر فيه أن سلطة البابا Gallican Libertiesأجنبية وأصدر تصريحاً يسمى وأن سلطة التاج في فرنسا لا Spiritual mattersتكون في المسائل الروحية ترتبط ولا تعتمد على البابوية وأنه ليس للبابوات أدنى حق في عزل الملوك كما انه ليس لهم أن يطلبوا إلى رعايا ملوك فرنسا التحلل من الطاعة الواجبة على هؤلاء الرعايا نحو ملوكهم وأن قرارات البابا فيما يختص بالكنيسة في فرنسا لا تصبح نهائية ونافذة لا بعد

أن توافق عليها المجالس الدينية الفرنسية ومعنى هذا التصريح سيطرة الت اج الفرنسي سيطرة عامة على الكنيسة وقد احتج البابا انسونت الحادي عشر على هذا التصريح ونعته بأنه اغتصاب لحقوق البابا في الإشراف على جميع شئون الكنيسة الدينية والدنيوية. ولكن لم يأبه لويس بهذا الاحتجاج وفي هذا الوقت وقع لويس تحت تأثير مدام مربية أولاده غير الشرعيين فأحبها وانتهز فرصة وفاة De Maintenoiدي مانتنو زوجته ماريا تيريزا فتزوجها وكانت تقية متعصبة للمذهب الكاثوليكي أخذت على عاتقها إصلاح الملك وهدايته إلى سواء السبيل وساعدها كبار رجال الدين الملتفين حولها مثل وقد نجحت في مساعيها إذا انصرف لويس عن حياة اللهو Bousset بوسوية .. والخلاعة وتشدد في مراعاة الآداب الدينية في البلاد وكان لهذه السيدة فضلاً عن ذلك آثار بعيدة في سياسة البلاد إذ بتأثيرها انقضى الخلاف بين الملك وبين البابا ، كما ازداد نفوذ رجال الدين في شئون الدولة العامة ثم انتهج لويس سياسة الاضط هاد الديني ضد اتباع جانس وضد الهوجونوت وأمعن في استئصالهم من البلاد.

**Jansenأتباع جانسن:**

نسبة Jansenistsقامت حركة داخل الكنيسة الكاثوليكية تسمى الجنسنست وقد عكف على وضع مؤلفات تناولت فيها Ypres أسقف إيبر Jansenإلى جانسن بالشرح الخطوط الرئيسية في فكرته . وسرعان ما غدا له اتباع كثيرون أعلنوا أنهم متمسكون بالعقيدة الكاثوليكية مخلصون لها وأكدوا أنهم لا يبغون الإنفصال عن الكنيسة الكاثوليكية سواء من ناحية العقيدة أو من ناحية الطقوس الدينية ولكنهم استهدفوا الالتزام بحياة أكثر طهراً وتقشفاً من الحياة التي اعتادها معظم الكاثوليك في فرنسا وأنهم يطالبون بالتمسك بالمثل العليا التي عاش في ظلالها المسيحيون الأوائل في فج المسيحية ولذلك سموا المطهرين الكاثوليك وأعلنوا أنهم يؤمنون بالقدرية predestination.

وقد شد من أزر هذه الحركة شخصيات لامعة انضمت غليهم كان من بينها راسين Racine وتحت تأثير هذه الحركة اندرج بعضا من روائع إنتاجه الأدبي . وكان بسكال Pascal الفيلسوف الموهوب والذائع الصيت هو موضع آرائها واتجاهاتها . وعلى الرغم من أن جانس اعترفوا بسيادة المجالس الدينية وتفوقها على سيادة البابا إلا أن لويس نظر إليهم كخصوم للتاج وخشي أن ينتقصوا من سلطته وزاد من نقمته عليهم أنهم ارتكبوا خطأ سياسياً جسيماً إذا اتصلوا بزعماء الفروند القدماء. كما كان من الطبيعي أن

يعتبرهم البابا خارجين على الكنيسة ولذلك أصدر عدة قرارات يدين فيها إتباع جانس بالزيغ، وكانت النتيجة أن أضحوا موضوع العداء الشديد من الملكية والبابوية والهوجونوت على السواء.

الهوجونوت وإلغاء مرسوم نانت:

لم يشأ لويس أن تبقى في فرنسا طائفة تدين بمذهب يخالف مذهب الملك ولذلك جعل من الهوجونوت خصوماً سياسيين ودينيين أعداء له ونظر إليهم كخطر ينتقص من سلطة التاج وكهرطقة يجب اقتلاع ج ذورها من فرنسا فانتهج حيالهم سياسة من الاضطهاد العنيف وشجعه على انتهاج هذه السياسة الخرقاء عدة شخصيات التفت حوله Boussuetمنهم مدام دي منتو زوجته الثانية، وكبار رجال الدين وعلى رأسهم بوسوية الذي زين له أن استئصال البروتستانتية هو السبيل الأمثل لتخليد ذكرا هـ ورفعه على صفوف القديسين الأبرار . كما شجعه على ارتكاب أشد صنوف التعذيب مع الهوجونوت Les regiments deوزير الحربية لوفوا الذي سلط عليهم فرقاً عسكرية سميت dragons لإرغام الهوجونوت على اعتناق المذهب الكاثوليكي. ويلاحظ أن الهوجونوت لم يعودوا قوة كبيرة يحسب له ا حساب كما كانوا أيام الملك هنري الرابع أو الكريدنال ريشيليو. كما أن أعدادهم تناقصت إلى حد كبير وتلاشت علاقتهم مع الأشراف . ولم تبد من تصرفاتهم أية دلالة على عدم إخلاصهم للتاج كما أنهم لم يشتركوا في حروب الفروند . لقد كان الهوجونوت عنصراً نشيطاً في المجتمع ا لفرنسي وبرزوا في ميدان التجارة وكانوا اليد اليمنى لكولبير Colbert في تنفيذ سياسته الاقتصادية .وفي خلال الشطر الأول من حكم لويس لم يتعرض لهم أحد بسوء في شئونهم ثم ظهرت بعد ذلك اتجاهات لوضع قيود على نشاطهم عندما اتجهت أفكار الملك وجهة دينية فبدأ بحصر امتيازاتهم ووضعهم تحت المراقبة الدقيقة ثم انتهج سياسة تخريبية معهم : هدمت كنائسهم وصودرت ممتلكاتهم وعطلت مدارسهم وخطفت أطفالهم وأضحى الهوجونوت الحيوانات الشريدة التي يشتهي صيدها الصيادون فيقتفون خطاها ويضيقون حولها الخناق حتى تقع في الشباك المعدة لهم وكانت الحكومة تعرض في بعض الأحيان الأموال على الهوجونوت ليرتدوا عن البروتستانتية فإذا رفضوا تعرضوا للتعذيب الأليم حتى يتحولوا إلى الكاثوليكية ثم أعلن لويس آخر الأمر في سنة ١٦٨٥م إلغاء مرسوم نانت تأسيساً

على أن الغالبية العظمى من الهوجونوت قد اعتنقت المذهب الكاثوليكي وأن هذا المرسوم أضحى غير ذي موضوع ولذلك فالملك لا يعتبر نفسه مرتبطاً بأحكام مرسوم نانت.

وبإلغاء مرسوم نانت فقد الهوجونوت كافة امتيازاتهم وحقوقهم الدينية والمدنية فحرموا من حرية العبادة والمساواة أمام القانون وحرم عليهم مغادرة فرنسا . ولكن تعذر على الحكومة تنفيذ الشرط الأخير قد هاجر من فرنسا ما يقرب من مائتين وخمسين ألفاً من الهوجونوت ولجأوا إلى سويسرا وبروسيا وهولندا وإنجلترا .وقد أقاض المؤرخون البروتستانت في تصوير النتائج السيئة التي عادت على فرنسا من إلغاء مرسوم نانت . الإلغاء جاء ضربة قوية لفرنسا واقتصادياتها وسمعتها، فقد حرمت من نشاط ما يقرب من ربع مليون نسمة من أكثر أبنائها النابهين في شتى القطاعات وحمل هؤلاء اللاجئون معهم خبراتهم ومهاراتهم في الشئون الاقتصادية والمالية والصناعات والفنون التي حذقوها وفي الحقل التربوي والتعليمي وقد كان الهوجونوت عنصراً بارزاً في كل هذه القطاعات كما ترك العسكريون منهم الخدمة في الجيش والبحرية والتحقوا بالقوات المسلحة للدول الأخرى. كما حملوا معهم حقداً دفيناً للحكومة التي أخرجتهم من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. واكتسبت انجلترا وهولندا من قدوم هؤلاء اللاجئين. ولكن كانت حالتهم في بروسيا تثير الدهشة. فقد منحهم فردريك وليم ناخب بروسيا أراضي وبيوتاً في برلين وضواحيها . فشاركوا في توسع المدينة وازدهارها ونموها الاقتصادي وكأن القدر كان يبيت أمراً آخر لفرنسا من برلين انطلقت الصيحة إلى استخدام الحديد والنار لإرغام فرنسا على قبول الاتحاد الألماني في القرن التاسع عشر ولقيت فرنسا المذلة والهوان من الحكام في برلين التي يعود الفضل في تقدمها على جميع المدن الألمانية إلا من اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق نتيجة التعصب الأعمى والاضطهاد الديني من ملك دل في كثير من تصرفاته على أنه ملك عظيم. كما كان من نتائج اضطهاد الهوجونوت أن ثارت ضغينة الدول البروتستانتية على فرنسا وعلى لويس الرابع عشر فتكونت المحالفات الأوروبية ضد فرنسا وهذا نرى أن استبداد الملكية الفرنسية ممثلة في شخص لويس الرابع عشر قضى على الحرية الدينية فكان الاضطهاد الأليم وكانت الهجرة بالألوف لمواطنين تمسكوا بعقيدتهم الدينية فكان هذا الاستبداد وذلك الاضطهاد بمثابة معاول هدم بها لويس أساس البينان الشامخ الذي شاده في مستهل حكمه.

تكتل أوروبا ضد فرنسا:

أخذت الأحداث الأوروبية تتطور تطوراً في غير مصلحة فرنسا . كان الأتراك العثمانيون قوة ضاربة رهيبة وتوغلوا في فتوحاتهم فيوسط القارة الأوروبية في حوض نهر الدانوب وكانت العلاقات بين الدولة العثمانية وبين فرنسا ودية وثيقة منذ أحقاب طويلة سابقة وكان الغزو العثماني لأوروبا ذا فائدة قصوى لفرنسا فقد شغل إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة بصد الغزو العثماني عن التحالف العسكري ضد فرنسا. ولكن حدث أن أصيب العثمانيون في سنة ١٦٨٣ بأول هزيمة حربية في تاريخهم العسكري إذ كانوا قد حاصروا فينا عاصمة النمسا وكانت هذه المدينة على وشك السقوط في أيدي العثمانيين ملك بولندا . وارتد Sobieskحين أنقذتها قوة عسكرية كان على رأسها سوبيسكي الأتراك بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة . وكانت هذه الهزيمة هي بدء اضمحلال القوات العثمانية البرية فانتزعت منها المجر وفقدت فرنسا حليفة قوية مرهوبة هي الدولة العثمانية.

وفي إنجلترا تطورت الأحداث فيها لغير مصلحة فرنسا أيضاً، ولم تكن العلاقات بين لويس الرابع عشر وبين شارل الثاني ودية تماما. ولكن استطاع لويس بوسائل عدة منع الحكومة الإنجليزية من أن تتدخل تدخلاً مثمراً ضد فرنسا.

وكان في مقدمة هذه الوسائل الأموال الطائل ة لأن شارل الثاني كان دائماً في حاجة إلى المال بسبب إسرافه. ولما مات شارل الثاني تولى أخوه جيمس الثاني عرش إنجلترا سنة ١٦٨٥ وهو آخر ملوك أسرة ستيوارت وقد أراد لويس الرابع عشر الأمل في إنشاء علاقات ودية وثيقة مع ملك انجلترا الجديد لأن كلا الملكين كان كاثولي كيا واعتقد لويس أن المصالح الدينية المشتركة بينهما ستقرب بين البلدين ولكن كان جيمس الثاني تعوزه الحكمة والحصانة السياسية . فقد أثار سخط الشعب الإنجليزي عليه في سياسته الدينية والقومية ودفع البلاد في طريق الثورة سنة ١٦٨٨م ونرى لزاماً علينا أن نلم إلماماً سر يعاً بمعالم هذه الثورة حتى تنكشف لنا آثارها على العلاقات الفرنسية البريطانية وتتضح الأزمة العنيفة التي واجهها لويس الرابع عشر نتيجة قيام ثورة ١٦٨٨م في إنجلترا.

لم يكن جيمس الثاني ملكاً محبوباً من الشعب الإنجليزي لأنه كان يؤمن إيماناً عميقاً بنظرية الحق الإلهي للملك ولأنه كان كاثوليكيا صريحاً وأقدم على بعض تصرفات دينية أثارت عليه حنق الجماهير التي كانت تعلل نفسها بموت الملك وارتقاء ابنته مارية

البروتستانتية زوجة وليم أورانج- عرش إنجلترا.ولكن تبددت آمال الجماهير عندما رزق الملك بولد من زوجته الكاثوليكية فرأى زعماء البلاد أنه لابد من القيام بثورة لخلع جيمس الثاني خوفاً من أن يرث العرش من بعده ابنه الكاثوليكي واتحد حزب التوري Tories الذي عرف فيما بعد بالأحرار Whigs الذي عرف فيما بعد بالمحافظين مع حزب الهويج وكان الحزبان ضد الكاثوليك ودعا البرلمان مارية وزوجها وليم أورانج لقبول تاج انجلترا فاستجابا لهذه الدعوة وغادر جيمس انجلترا على فرنسا ثم اجتمع البرلمان رسمياً وقدم التاج إلى وليم ومارية وغدا لقبه وليم الثالث وبذلك انتصر البرلمان على الملكية وانتهت ثورة ١٦٨٨ وكانت ثورة بيضاء لم تسفك فيها دماء أو ترتكب فيها جرائم. وكان من أهم أسباب نجاحها أن البرلمان لم ينقسم على نفسه ما انقسم سنة ١٦٤٢م حين قامت الثورة الأولى على عهد شارل الأول كما أن الأحزاب اتفقت كلها دينياً وسياسياً وفي خلال مراحل الثورة عرض لويس الرابع أكثر من مرة مساعداته على جيمس الثاني ملك انجلترا لتدعيم مركزه في داخل البلاد إزاء الثوار وكانت هذه العروض تقابل بالرفض من جانب جيمس الثاني الذي رأى أن استعانته بملك أجنبي أمر يمس كبرياءه وكرامته ولما تم عزله لم يكف لويس الرابع عشر عن السعي حثيثاً لإعادته إلى عرشه السليب الأمر الذي أثار عليه موجة من السخط العميق عمت إنجلترا.

في ألمانيا . وكانت Cologne وفي هذا الوقت خلال منصب حاكم ولاية كولون هذه الولاية ذات أهمية كبيرة بسبب موقعها الإستراتيجي على نهر الراين ولأنها تسيطر على إحدى الطرق الرئيسية المؤدية إلى هولندا وتطلع لويس الرابع عشر إلى جعل هذه الولاية منطقة نفوذ فرنسية وذلك بأن يكون الحاكم الجديد لها ذا ميول فرنسية واستبان له أن تحقيق هذه الرغبة لن يتم إلا باستخدام القوة ومن ثم صدرت الأوامر بتعبئة الجيش ليكون على أهبة الاستعداد للتحرك نحو كولون.

يرتبط هذا الحادث ارتباطاً وثيقاً بتاريخ إنجلترا من ناحية وبتاريخ فرنسا من ناحية أخرى فقد رأينا أن زعماء ثورة ١٦٨٨م في إنجلترا قد عرضوا على وليم أورانج وزوجته ماريا البروتستانتية العرش الإنجليزي واستجاب وليم لهذا العرض .ولكن رفض المجلس النيابي في هولندا أن يأذن لوليم أن يبحر إلى انجلترا بينما فرنسا تحشد حشودها العسكرية خشيت هولندا أن يتخذ لويس من الهجوم على كولون ستاراً يخفي ورائه مطامعه في الاستيلاء على هولندا فيقوم باكتساح الأراضي الهولندية وينجح فيما أخفق

فهي من قبل وعندئذ تكون هولندا في حاجة إلى وجود شخصية قديرة تقود البلاد في هذا الظرف العصيب وتحول دون استيلاء فرنسا عليها . ولكن اكتفى لويس في هذه المرحلة باحتلال كولون وتعيين أحد أصدقاء فرنسا حاكماً عليها . وسمح المجلس النيابي في هولندا لوليم بأن يبحر إلى إنجلترا حيث اعتلى العرش وسرعان ما أضحى وليم الثالث هذا خصماً قوياً عنيداً أثار المتاعب والأزمات في وجه لويس الرابع عشر.

**The war of the league of Augsburg:حرب عصبة أوجزبرج**

أفضى نجاح ثورة انجلترا سنة ١٦٨٨م، وهجوم لويس الرابع عشر على كولون بالإضافة إلى سخط العالم البروتستانتي على لويس بسبب اضطهاده للهوجنوب وإقدامه على ضم ستراسبورج ولوكسمبرج وكسال – أدت كل هذه الأسباب إلى قيام حرب أوروبية كبرى تسمى حرب عصبة أو جزبرج ضد فرنسا . ونجح وليم الثالث ملك انجلترا في جمع **The**الدول الأوروبية كلها تقريباً في تحالف ضد فرنسا أطلق عليه التحالف العظيم **grand Alkiane** وقد تكون هذا التحالف أول الأمر من إنجلترا وهولندا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ثم انضمت إليهم سراعاً أسبانيا وإمارة براندنبرج الألمانية ثم لحقت بها الدانمارك والسويد وسكسونيا وفرانكفورت وبفاريا ثم البابا .وطالت الحرب عدة سنوات وتميزت بالعنف وكانت الحدود الفرنسية منيعة بفضل التحصينات القوية التي **Valuboni**أقامها عليها كوبان المهندس العسكري . وتعذر على القوات المتحالفة أن تخترق هذه التحصينات. وتحولت الحرب إلى عمليات حصار وفي مستهل الحرب حالف الحظ فرنسا ولاح أنها ستحقق انتصارات باهرة براً وبحراً فقد استطاع الأسطول الفرنسي **Beach**أن يوقع الهزيمة بالأسطولين الإنجليزي والهولندي معاً في معرك ة بيش هيد **Hend** سنة ١٦٩٠م ولكن ثأر الأسطول الإنجليزي لنفسه وانتصر على الأسطول البحيرة سنة ١٦٩٢م وأكدت انجلترا تفوقها البحري **La Hogue**الفرنسي في موقعة وأبعدت عن شواطئها خطر نزول قوات فرنسية إليها.

وانتقلت الحرب من هولندا وأقاليم الراين ومن البحار إلى أيرلندا فإن جيمس الثاني ملك إنجلترا المعزول كان قد لجأ بعد حين إلى أيرلندا يحدوه الأمل في تنظيم قوة عسكرية يستطيع أن يغزو بها إنجلترا ويسترد عرشه السليب . وكان الشعب الأيرلندي في مجموعة يحمل أعمق مشاعر الحقد والكراهية لإنجلترا كما كان يعتنق المذهب الكاثوليك ي وهو مذهب الملك المعزول ولهذا وجد جيمس الثاني ترحيباً عميقاً من الجماهير في أيرلندا

واستطاعت قواته أن تحوز انتصارات كبيرة وبدأ أن أيرلندا أضحت على وشك الخضوع كلها لسلطانه ولكن استطاع وليم الثالث أن يغزو الجزيرة بجيش يتكون من جنسيات أوربية عديدة وأعاد أيرلندا لحكم إنجلترا سنة ١٦٩٠م.

أما الحرب في القاهرة الأوروبية فقد اتسع نطاقها وتطلبت أموالاً ضخمة لتمويلها وعلى الرغم من أن فرنسا قد انتصرت في جميع المعارك الحربية بدون استثناء تقريباً إلا أن أحوالنا المالية والاقتصادية تدهورت تدهوراً شديداً حتى أضحت الضرورة تقضي عليها سنة ١٦٩٧م بعد تسع سنوات من Rywickبقبول الصلح. وفعلاً تم عقد صلح ريزويك الحرب. ويمقتضى هذا الصلح تقرر أن تتنازل فرنسا عن شطر من مكاسبها الإقليمية التي ظفرت بها في حروب سابقة وأن تتنازل أيضاً عن بعض الأماكن التي كانت قد استحوذت عليها طبقاً لقرارات محاكم الضم. ولكن بقيت ستراسبورج والإلزاس في حوزتها واعترف لويس بوليم الثالث ملك على إنجلترا كما تعهد بالكف عن تأييد أسرة ستيوارت في أية محاولة قد تقوم بها هذه الأسرة المطالبة بعرش انجلترا. وعلى الرغم من أن فرنسا قد تنازلت في صلح ريزويك عن أقاليم كانت تابعة لها فقد ظل مركز فرنسا المتفوق ملحوظاً في القارة الأوروبية وظلت قواتها هي القوة الأولى في أوروبا.

**War of the Spanish Successinحرب الوراثة الأسبانية**

كان من بين الأسباب التي حملت لويس الرابع عشر على قبول صلح ريزويك حاجة فرنسا إلى السلام حتى تعيد تنظيم ماليتها وتعدل النظام الضريبي فيها . وتسترد قوتها ولكن كان أهم من ذلك كله تدهور صحة شارل الثاني ملك أسبانيا وتوالي ورود الأنباء من مدريد بأن الملك المريض يقترب من أجله المحتوم فأراد لويس أن يتفرغ لمسألة الوراثة الأسبانية. وقد أفضى تدخله في هذه المسألة إلى حرب جديدة أطلق عليها اسم حرب الوراثة الأسبانية.

ظهرت مظاهر الضعف على أسبانيا في نهاية القرن السابع عشر ظهوراً واضحاً فنظامها المالي كان من أسوأ الأنظمة التي عرفتها أوروبا، كان الأشراف ورجال الدين يتمتعون بالإعفاء الضريبي وقد عانت فرنسا أيضاً من هذه المساوئ إلى قيام الثورة الفرنسية ولكن كانت المساوئ في أسبانيا أكثر شمولاً وأبعد عمقاً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بحيث عرقلت هذه المساوئ ازدهار الصناعة وأن دخل للحكومة من الضرائب ضئيلاً تافهاً ويلاحظ أيضاً أن أسبانياً شغلت نفسها منذ أواخر القرن الخامس عشر

بمشروعات ضخمة استهدفت منها الاستيلاء على ممتلكات جديدة سواء في أوروبا أو في العالم الجديد كما استهدفت منها إحراز التفوق والسيطرة السياسية في القارة الأوروبية فقد أسهمت إسهاماً فعالاً في الكشوف الجغرافية ونجحت في محاولاتها لغزو واحتلال أصقاع شتى من القارتين الأ مريكيتين وظفرت بمكاسب إقليمية في شبه الجزيرة الإيطالية بعد عمليات حربية طاحنة هي المعروفة باسم الحروب الإيطالية (١٤٩٤م-١٥٥٩م) وخاضت حروباً طويلة للقضاء على حركة التحرير الهولندية واشتركت في حرب الثلاثين سنة ثم حاولت غزو انجلترا كانت هذه المعارك عبئاً ثقيلاً على الشعب الأسباني استنفذت موارد البلاد ونشاط القوى العاملة بها . وانصرف ملوك أسبانيا إلى تنفيذ هذه المشروعات التوسعية التي استحوذت على تفكيرهم وأهملوا النهوض بالشعب الأسباني نفسه وإصلاح أحواله الاقتصادية والاجتماعية وبعبارة أخرى اهتموا بشئون السياسة الخ ارجية وأهملوا مشروعات الإصلاح الداخلي. وهكذا كان ضعيفاً الأساس الاقتصادي والاجتماعي الذي قام عليه بناء المجتمع الأسباني. ويعتبر المؤرخون أسبانيا من هذه الناحية نموذجاً صارخاً لدولة أشاعت الاضمحلال والضعف في داخل بلادها نتيجة مشروعات توسعية استعمارية.

وهناك عامل آخر أسهم في ضعف أسبانيا فقد كانت هذه البلاد معقل الكاثوليكية وحملت لواء الجهاد بل التعصب الأعمى الشديد دفاعاً عن هذا المذهب ضد البروتستانتية وكانت السياسة الدينية للحكومة الأسبانية تلقى استجابة عميقة من الرأي العام فتلاقت رغبة الحكام والمحكومين في ا لضرب على أيدي المهرطقين وانتصرت الكاثوليكية في أسبانيا انتصاراً ساحقاً تاماً بسبب نشاط محاكم التفتيش بحيث لم يعد هناك مكان لبروتستانتي أو مسلم أو يهودي في أرجاء أسبانيا. وكان لسياسة الكبت والتعصب الديني آثارها السيئة على الشعب الأسباني فقد خيم عليه جمود شم ل الحياة العقلية والعلمية والأدبية والفنية في الوقت الذي كانت الدول الأوروبية يشع فيها نفور العلم وتموج بنشاط الحركة العلمية وتسير بخطى سريعة نحو التقدم والقوة والثراء فتخلفت أسبانيا عن ركب هذه الدول لأن قيوداً ثقيلة وقاسية وضعت على حرية الفكر سواء في المسائل الدينية أو السياسية أو العلمية وإذا كانت الحياة الأدبية والفنية قد ازدهرت في أسبانيا طوال القرن السادس عشر وفي مطلع القرن السابع عشر إلا أنه لم يكد ينتصف هذا القرن السابع عشر حتى تلاشى هذا الازدهار وغدت البلاد تغط في سبات عميق.

كان شارل الثاني يحكم أسبانيا وظهرت عليه بصورة خطيرة أعراض الخبل في قواه العقلية هو مرض أصاب حيناً وهدد أحياناً أسلافه ملوك أسبانيا ولم يكن في استطاعة الملك المعتوه تفهم كبرى المسائل أو صغراها. وكلما مضت الأيام كلما ازدادت وطأة هذا العرض العقلي بحيث غدا عاجزاً عن القيام بأعباء الملك. واستحوذت زوجته بنفوذ واسع طليق سواء في البلاط الملكي و في دوائر الحكومة. وزاد الموقف حرجاً أنه لم ينجب ذرية وأضحى حديث الساعة بين ملوك أوروبا وساستها مصير العرش الأسباني حين يتوفى هذا الملك المعتوه والذي كان يسير بخطى سريعة نحو نهايته المحتومة.

كانت لأسبانيا في ذلك الوقت ممتلكات مترامية الأطراف

أولاً: الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا).

ثانياً: في شبه الجزيرة الإيطالية ميلان ونابولي.

ثالثاً: جزر البحر المتوسط صقلية وسردينيا والبليار.

رابعاً : في العالم الجديد كانت لها جزائر الفليبيين والكناري وكوبا وال مكسيك وفلوريدا وكاليفورنيا وبناما وأمريكا الجنوبية ما عدا جيانا والبرازيل البرتغالية.

ولذلك كان العرش الأسباني مطمعاً لكثير من ملوك أوروبا وقد تطلع إليه ثلاثة بحكم صلات تربطهم بالأسرة الملكة في أسبانيا وهم لويس الرابع عشر ملك فرنسا والإمبراطور ليوبولد الأول ثم منتخب بافاريا. واهتم وليم الثالث ملك انجلترا بموضوع وراثة العرش الأسباني اهتماماً عميقاً خشية أن ينجح لويس في الاستحواذ على ممتلكات أسبانيا وهو أمر يزيد من قوة فرنسا ويعصف بمبدأ التوازن الدولي الذي كانت تستند إليه سياسة أوروبا وهو يقتضي بألا يسمح ولاية دولة بأن تزيد ممتلكاتها زيادة تجعلها مصدر خطر دائم على بقية الدول الأوروبية وهكذا غدت مسألة الوراثة الأسبانية مشكلة دولية شائكة.

لم وليم الثالث استعداداً لدى الشعب الإنجليزي كي يخوض غمار حرب جديدة ولذلك لجأ إلى الطريق الدبلوماسي لحل مسألة الوراثة الأسبانية حلاً يتمشى مع أهدافه ودخل في مفاوضات مع لويس الرابع عشر خصمه اللدود وعقد معه معاهدة التقسيم الأولى معاهدة لاهاي سنة ١٦٩٨م وقد نال فيها أمير بافاريا نصيب الأسد فيصبح هذا الأمير ملكاً على أسبانياً لأن ارتقاءه العرش لا يؤدي إلى الإخلال بمبدأ التوازن الدو لي وتأخذ فرنسا والنمسا وأجزاء أخرى أقل أهمية ويلاحظ أن هذه المفاوضات وما أسفرت عنه

من معاهدة لاهاي قد تجاهلت شارل الثاني ملك أسبانيا كما تجاهلت الشعب الأسباني فلم يشترك أي منهما في المفاوضات أو المعاهدة . ومهما يكن من أمر فقد وقع في العام التالي أي ١٦٩٩م حادث لم يكن في الحسبان هو موت مفاجئ داهم أمير بافاريا. وتطلب الأمر إعادة النظر في موضوع الوراثة الأسبانية من جديد . فعقدت معاهدة تقسيم جديدة في مارس ١٧٠٠م تقرر بمقتضاها أن تعطي الوراثة للأمير شارل النمساوي ابن الإمبراطور. وأن تأخذ فرنسا الممتلكات الأسبانية في شبه الجزيرة الإيطالية وهي ميلان ونابولي وصقلية ولما توفى شارل الثاني سنة ١٧٠٠م وجد أنه ترك وصية تقضي بأن يكون فيليب أنجو حفيد لويس الرابع عشر الوارث الوحيد للممتلكات الأسبانية تأسيساً على أن فرنسا دولة قوية تستطيع أن تحافظ على تماسك الممتلكات الأسبانية وا لدفاع عنها وان تبعد عنها خطر التقسيم. ويقال أن سفير فرنسا في مدريد هو صاحب الفضل في وضع هذه الوصية التي جاءت في مصلحة فرنسا على طول الخط فقد قام هذا السفير بجهود متصلة في البلاط الأسباني حتى تم وضع هذه الوصية.

لم يكن لويس في حاجة إلى المقارنة بين مزايا معاهدة التقسيم وبين مزايا وصية الملك الراحل فالأخيرة أكثر نفعاً لفرنسا وهي تحقق أملاً واسعاً ظل يجيش في صدر لويس الرابع عشر أمداً طويلاً. ولذلك لم يحترم لويس توقيعه على معاهدة التقسيم وشجعه على ذلك أن النمسا أعلنت من جانبها أنها لا تقر هذه المعاهدة ووضح أنها لن تقبل تنفيذ معاهدة التقسيم إلا إذا قامت حرب وهزمت فيها. ورأى لويس أنه إذا كان لابد من الحرب فإنه يفضل خوض غمار حرب من أجل تنفيذ معاهدة التقسيم وأرسل حفيده إلى أسبانيا ونأفضى به ملكاً عليها باسم فيليبب الخامس واستعد لحرب كانت تدل الدلائل على أنها ستكون حرباً عنيفة.

وكان من المحتمل أن نقبل الدول الأوروبية ارتقاء حفيد لويس الرابع عشر عرش أسبانيا إذا قبل لويس أن تظل فرنسا وأسبانيا دولتين منفصلتين ولكنه أراد أن يجعل منهما دولة واحدة وأعلن أن جبال البيرانيز قد زالت بين فرنسا وأسبانيا وأراد أن يجعل من القوات المسلحة للدولتين قوة واحدة تنتقل وحداتها بين البلدين وتحل فرق فرنسية مكان فرق أسبانيا وهكذا.

وفي هذه الأثناء ارتكب لويس خطأ سياسياً أثار عليه ثائرة الرأي العام في إنجلترا فقد توفى جيمس الثاني الملك المعزول وكان يقيم في منفاه بالقرب من باريس وطلبت

زوجة جيمس إلى لويس أن يحمل ابنها لقب ملك وكان يعترف لويس به ملكاً على إنجلترا باسم جيمس الثالث وهو الذي أطلق عليه فيما بعد اسم المدعي العجوز. واستجاب لويس بأن Ryswickلرغبة الملكة الأرملة ويلاحظ أن لويس كان قد تعهد في صلح روزويك يمتنع عن بذل المساعدة لأي فرد من أسرة ستيوارت في محاولات قد يقوم بها للمطالبة بعرش إنجلترا واعتبر الشعب الإنجليزي عمل لويس نقضاً لهذه المعاهدة وكانت النتيجة أن البرلمان الإنجليزي الذي كان يعارض وليم في دخول الحرب قد أضحى يرى أنها ضرورة لابد منها ووافق على الاعتمادات المالية التي طلبها وليم لدخول الحرب وهكذا تلاقت أخيراً رغبة البرلمان مع رغبة الملك في محاربة فرنسا . وكان أن عكف وليم الثالث ضد فرنسا وكان هذا The Grand Allianceعلى إعادة تنظيم التحالف العظيم العمل من أهم الأعمال التي قام بها قبل أن يدركه الموت فقد توفى فجأة في مارس في قيادة Marlborough١٧٠٢م قبيل أن تنشب الحرب وحل محله الدوق مارلبورو الجيش وفي الدبلوماسية.

بدأت الحرب وكانت فرنسا وأسبانيا وبفاريا في جانب وفي الجانب الآخر انجلترا وهولندا والإمبراطورية ومقاطعة براندنبرج وقد أضحى لقبها منذ سن ة ١٧٠٠م مملكة بروسيا وإذا نظرنا إلى مركز المعسكرين المتحاربين وجدنا أن مركز فرنسا يبدو وطيداً فقد قدمت بافاريا مساعدات قيمة لفرنسا بعكس أسبانيا التي لم تقدم مساعدة تذكر على الرغم من ممتلكاتها المترامية الأطراف وصفات شعبها الذي يهوى القتال لأن الفساد كان قد استشرى في أسبانيا وهبط مستوى الأجهزة الحكومية هبوطاً مروعاً . وقد شبه المؤرخون فرنسا بجسم رجل تدب فيه الحياة ربط بجسم رجل ميت فكانت أسبانيا عبئاً على فرنسا أكثر منها حليفة أما المعسكر الآخر فكانت تجمع بين دول وحدة الهدف ولم يقم بينها خلافات أو منازعات كما يحدث عادة بين الدول المتحالفة وقدمت إنجلترا معونتها البشرية للحلفاء ولكن كانت مساعدتها المالية أكبر وأروع وكان الدوق مارلبورو يقود القوات على رأس القوات الإمبراطورية وبين Eugeneالإنجليزية بينما كان الأمير يوجين القائدين نشأت صداقة وطيدة وتفاهم عميق تام واستطاع القائدان أن يعملا خلال مراحل الحرب في تعاون وتنسيق للخطط اتسع نطاق الحرب ولم تعرف أوروبا حرباً تميزت بهذا الشمول وتعددت الميادين كحرب للوراثة الأسبانية .فقد دارت معاركها في أربعة ميادين . في الأراضي المخفضة حيث هاجم الإنجليز والهولنديون الممتلكات الأ سبانية وكان

الميدان الثاني في شبه الجزيرة الإيطالية حيث حاول النمساويون طرد الفرنسيين والأسبان من ميلان، وكان الميدان الثالث هو بافاريا، وبخاصة في المراحل الأولى للحرب حيث دارت أعنف المعارك استطاعت فيها قوات فرنسا وبافاريا أن تصمد لقوات التحالف العظيم وتعذر على النمسا إرسال قوات عسكرية كافية لمساعدة الدوق مارلبورو وأعتقد كثير من الناس وقتئذ أن فرنسا ستكسب الحرب . وكان الميدان الرابع في أسبانيا حيث تأرجح الموقف بين الهزيمة والانتصار ثم أسفر عن تطورات غريبة لم تكن في الحسبان. ويمكن إضافة ميدان خامس على ميادين حرب الوراثة الأسبانية فبينما كانت جيوش فرنسا مشتبك في هذه الحملات المتعددة والبعيدة الميادين قام البروتستانت في سيفين وهي منطقة جبلية في وسط فرنسا على مقربة من نهر فلورا – بثورة عنيفة دامية ضد الكاثوليك الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب وبدا أن فرنسا باتت عا جزة عن قمع هذه الثورة.

ولن تدخل في تفاصيل المعارك على الرغم من أهميتها في تاريخ كل من فرنسا وإنجلترا.وحسبنا أن نذكر أن موقعة بلنهيم Blenheim على نهر الدانوب الأعلى سنة ١٧٠٤م كانت حداً فاصلاً بين مرحلتين حاسمتين من مراحل الحرب فإلى ذلك الوقت لم تكن فرنسا قد أصيبت بإنكسارات حاسمة ثم استطاع الدوق مارلبورو بمهارته العسكرية أن ينضم على قوات أوجين وأن يوقع الإثنان بفرنسا هزيمة منكرة في بلنهيم وهي تعتبر من أفدح الهزائم في تاريخها العسكري. ومن ذلك الوقت أيضاً توقفت الحرب في بافاريا . واستمرت في الميادين الأخرى حيث رجحت كفة الحلفاء رجحاناً كبيراً فاكتسحت قواتهم الأراضي المنخفضة الأسبانية وتم طرد الفرنسيين كلية من شبه الجزيرة الإيطالية ومني الفرنسيون ومعهم الأسبان بخسائر جسيمة في أسبانيا واستولى الإنجليز على جبل طارق سنة ١٧٠٤ واستطاع أرشيدوق النمسا أن يدخل مدريد حيث أعلن نفسه ملكاً على أسبانيا باسم شارل الثالث وأضحى واضحاً أن الحرب سوف تنتهي بهزيمة ساحقة لفرنسا بل بإذلال تام لها. ثم وقع حادثان خففا من أثر تلك الهزائم وهذا الإذلال أولهما انبعاث الروح القومية في الشعب الأسباني وهو ظاهرة مكروهة في تاريخه عند اشتداد الأخط ار واستطاع الأسبان على الرغم من أن الفرنسيين كانوا في حالة من التدهور لم تسمح لهم بتقديم العون على الأسبان أن يستردوا الأرض التي فقدوها وأن يوقعوا الهزيمة بالحلفاء ودخل فيليب الخامس إلى مدريد منتصراً وطرد الحلفاء من أسبانيا ما عدا جبل طارق في

الجنوب وبرشلونة في الشرق. أما الحادث الآخر فيتمثل في التكبر الذي أظهره الحلفاء نحو لويس الرابع عشر لقد عرض عليهم الصلح . إذ كانت فرنسا على وشك الإفلاس وانتشرت فيها المجاعة وحل البؤس والشقاء بأهلها. ولكنهم فرضوا عليه شروطاً قاسية لم يكن في وسعه قبولها على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تحيط بالبلاد ومن ثم فضل المضي في الحرب على قبول شروط مهينة للصلح . وعلى الرغم من الهزائم التي استمرت تنزل بالفرنسيين فإن تطور السياسة الدولية أسهم في التخفيف من حدة حرج موقف فرنسا فقد سقطت في إنجلترا حكومة الأحرار الممثلة في حرب الهويج Whigs وكان الحزبان على حزب التوري Tories وتولت الحكم حكومة المحافظين الممثلة في طرفي نقيض في السياسة الخارجية فبينما كان حزب الأحرار يدين بضرورة محاربة فرنسا كان حزب المحافظين يرى ضرورة إنهاء الحرب الدائرة . وكانت العلاقات قد ساءت بين ملكة إنجلترا وبين حزب الأحرار الذي بدأ في ذلك الوقت يفقد مكانته من قلوب آن Anne الشعب الإنجليزي بسبب كثرة الحروب والأرواح التي أزهقت فيها وبسبب المجادلات الدينية التي زج زعماء هذا الحزب بأنفسهم فيها . ثم جاءت سياسة الملكة من الانتصار لحزب المحافظين مما زعزع مركز حزب الأحرار وقد نشأ نزاع شخصي بين الملكة وبين اللادي مارلبورو Lady Marlborough أفضى إلى سقوط وزارة الأحرار وما كاد حزب المحافظين يتقلد الحكم حتى سعى إلى طلب الصلح وقدم إلى لويس الرابع عشر شروطاً لم يكن يتوقعها هذا الملك المنهزم وانسحبت إنجلترا من الحرب كلية على الرغم من الجهود التي بذلها الدوق مارلبورو والأمير يوجين لدى الحكومة الإنجليزية لمواصلة الحرب وكان من نتائج انسحاب إنجلترا من الحرب أن حرمت النمسا من مساعدة القوات الإنجليزية واستطاعت فرنسا أن توقع هزيمة ساحقة بالنمساويين في معركة دنان Denain في أكتوبر سنة ١٧١٢ فساعد هذا الانتصار الفرنسي على عقد صلح بشروط الأفضل لفرنسا فأبرمت في ١١ أبريل ١٧١٣م معاهدة اترخت Utrecht بين فرنسا وأسبانيا من جانب وبين إنجلترا وهولندا وبراندنبرج وسافوي من جانب آخر. ثم أبرمت في ٧ مارس سنة ١٧١٤م معاهدة اشتدت بين فرنسا والنمسا وبمقتضى هاتين المعاهدتين تقرر:

أولاً: يبقى فيليب الخامس ملكاً على أسبانيا ومستعمراتها على ألا تتم إطلاقاً وحدة سياسة بين فرنسا وأسبانيا.

ثانياً: يستولي الإمبراطور (شارل السادس ) على الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا ) وميلان ونابولي وجزيرة سردينيا.

ثالثاً: تحتفظ انجلترا بجبل طارق وميناء ماهون Mahon في جزيرة مينورقا Minorca (إحدى جزائر البليار في البحر المتوسط) كما تستولي على شرط من مستعمرات فرنسا في أمريكا الشمالية وهي جزيرة نيوفوندلند وشبه جزيرة نوفا سكوشيا (على الشاطئ لكندا وإقليم خليج هدسن Hudson وتقررت لإنجلترا أيضاً امتيازات تجارية في المستعمرات الأسبانية.

رابعاً: تستبقي فرنسا إقليم الإلزاس بما فيه مدينة ستراسبورج ولكنها تنازلت عن بعض أقاليمها لهولندا والنمسا في القارة الأوروبية.

خامساً: تأخذ سافوي جزيرة صقلية.

ومما لا يلاحظ على هذه التسوية أنها سلبت من أسبانيا ممتلكات هامة ولكن بقاء فيليب الخامس ملكاً عليها كان انتصاراً للانتفاضة الوطنية التي قام بها الشعب الأسباني الذي وقف يناضل وحيد دون أن يتلقي معونة خارجية ورفض أن، يفرض عليه ملك أجنبي هو الأرشيدوق النمسا باسم شارل الثالث . كما يلاحظ اهتمام إنجلترا بمصلحتها التجارية والاستعمارية إذ ظفرت في أوروبا بمكاسب إقليمية كان أبرزها جبل طارق الذي اتخذته من ذلك الوقت مركز استراتيجياً هاماً في سلسلة المواصلات البريطانية البحرية . كما ظفرت ببعض مستعمرات فرنسا في أمريكا الشمالية وأخذت إنجلترا تتبوأ مركز السيادة في البحار وزادت حدة التنافس الاستعماري بينها وبين فرنسا. وحرصت هذه التسوية أيضاً على اتخاذ احتياطات لمنع فرنسا من معاودة الهجوم ضد أوروبا ولذلك قررت هذه التسوية أن تكون بلجيكا من نصيب النمسا خوفاً من أن تتخذ فرنسا من بلجيكا نقطة وثوب على إنجلترا أو على أجزاء في القارة الأوروبية وكانت خسائر فرنسا فادحة في هذه التسوية فهي قد تنازلت عن بعض أقاليمها في أوروبا لهولندا والنمسا وعن بعض مستعمراتها في أمريكا المالية لإنجلترا وهي خسائر شعرت بفداحتها الأجيال التالية.

وكان أهم نتيجة لحرب الوراثة الأسبانية خروج فرنسا منها وقد تدهورت أحوالها تدهوراً رهيباً وارتبكت ميزانيتها وأثقلت بالديون الباهظة وفقدت مكانتها وتفوقها وزعامتها في المجال الدولي وتبدد الولاء العميق الذي كان يشعر به الشعب نحو ملكيه وتحول إلى

كراهية عميقة . ولأول مرة انطلقت الأصوات عالية مدوية من الجماهير تعارض سياسة الملك وكان على رأس هؤلاء المعارضين فنيلون Fenelon من رجال الدين نعى على الملك سياسته الاستبدادية في حكم فرنسا وصرح بأن هذه السياسة قد ساقت البلاد على هاوية الفقر والخراب وأن لويس الرابع عشر قد أقام عرشه على خراب جميع الطبقات في فرنسا وبرز في صفوف المعارضة فوبا Vauban المهندس العسكري هاجم الملك على أساس أن سياسته قد جلبت الفقر ورجعت بالبلاد إلى الوراء واقترح لعلاج الموقف المتدهور تعديل نظام الضرائب تعديلاً يقوم على العدالة والمساواة وأن تعاد للبروتستانت في فرنسا حقوقهم القديمة وأن يتمتعوا بامتيازات المواطنين.

ولما انتهت حرب الوراثة الأسبانية كان لويس قد غدا ملكاً طاعناً في السن وأقلقه مسألة وراثة العرش الفرنسي فإن الموت كان يتلقف ذريته في تلاحق عجيب فطوى الموت ابنه ثم حفيده ثم ابن حفيده وأضحى وارث العرش طفلاً في المهد صبياً لم يتجاوز السنتين فإذا لحق هذا الطفل الرضيع من سرهقه بات الموقف جد خطير وإذا امتد به الأجل فلابد من قيام مجلس وصاية يطمئن إليه في حكم فرنسا بعد وفاته وقد حرص على أن يحول بين قريب له هو الدوق أورليان وبين توليه الحكم إذ كان يخشى اتجاهاته السياسية وآراءه الدينية . وفي الوصية الأخيرة التي وضعها لويس شكل مجلس وصاية جعل من بين أعضائه أولاده غير الشرعيين وان يكون دور ابن عمه دوق أورليان مقصوراً على رياسة مجلس الوصاية ولما جاز لويس الرابع عشر الحادية سنة ١٧١٥ كان لويس الخامس عشر قد بلغ من العمر خمس سنوات.

كانت فرنسا في الشطر الأول من حكم لويس الرابع عشر طليعة ال دول وحملت لواء الحضارة الأوروبية ونظرت إليها دول أوروبا على أنها نموذج يحتذى في فن السلم وفن الحرب وفي النظام الحكومي . ولكن الأزمة المالية الخانقة والاضطراب الذي شمل البلاد نتيجة الحروب الطويلة قد عصفت بالمركز المرموق الذي تبوأته وانفسح المجال أمام دول اخرى.

## ب- حرب السنوات السبع .

# حرب السنوات السبع

# (١٧٥٦-١٧٦٣م)

حرب قامت بين القوى الأوربية الكبرى بسبب صراعها من أجل السيطرة على بعض الممتلكات في أوربا والمستعمرات، وكانت بين فرنسا وحليفتها النمسا وحلفائهما من جهة، وبين إنكلترا وحليفتها بروسيا من جهة أخرى. وقد استمرت مدة سبع سنوات، وبدأت في القارة الأوربية ثم انتقلت إلى ما وراء البحار بين انكلترا و فرنسا لتشمل المستعمرات في أمريكا وإفريقيا و الهند.

بدأت الحرب في أوربا بتقدم فريدريك الثاني Friedrich II ملك بروسيا في سكسونيا في أيلول ١٧٥٦، مما ألب عليه كثيراً من الأعداء، ففي الجنوب النمسويون، وفي الشرق الروس، وفي الغرب الفرنسيون والإسبان، وفي الشمال السويديون . أدى هذا الوضع إلى توثيق التحالف البروسي مع إنكلترا التي ك انت ترغب بالدرجة الأولى في إضعاف منافستها الأولى في الحقل الاستع ماري وهي فرنسا. وقد أثبت الملك فريدريك الثاني وسط هذا الحشد من الأعداء أنه يملك موهبة حربية نادرة، فبعد انتصاره في سكسونية واحتلاله مدينة درسدن، استطاع أن يحقق انتصاراً ساحقاً في روسباخ Rossbach في تشرين الثاني عام ١٧٥٧ على الجيش الفرنسي – النمسوي. وفي كانون الأول من عام ١٧٥٧ خاض الملك فريدريك الثاني معركة طاحنة مظفرة في لوثن Luthen ضد القائد النمسوي «دون» Daun الموجود في سيليزية، وقد جعله هذا الانتصار في مصاف القواد العسكريين ذوي الشهرة الخالدة، وقد عد ناب ليون بونابرت معركة لوثن بمناوراتها وحركاتها وتصميمها عملاً فنياً خالداً .

وعلى الرغم من كثرة أعداء بروسيا، فإنها استطاعت بقيادة فريدريك الثاني مقاومة هجمات الفرنسيين والروس والنمسويين، وتغلغل الجيوش الروسية المرة تلو الأخرى في الأراضي البروسية واحتلالهم مدينة كولمار Colmar، واستقرارهم في بوميرانية ال بروسية ووصولهم حتى مدينة فرانكفورت على الأودر Frankfort-on-Oder وحتى احتلالهم في عام ١٧٦٠ العاصمة ال بروسية برلين. لكن الروس لم يستثمروا انتصاراتهم . وأدى موت قيصرة روسيا المتشددة إليزابيث المفاجئ في ٥كانون الثاني من عام ١٧٦٢ إلى إنقاذ وضع فريدريك الثاني العسكري الصعب للغاية من ناحية، ومن ناحية أخرى وصل القيصر بطرس الثالث إلى حكم روسيا و كان صديقاً لفريدريك الثاني ومن أشد المعجبين به، لذلك قرر

انسحاب روسيا من الحرب . وفي ١٥شباط من عام ١٧٦٣، وتحت ضغط تهديد الأ تراك لحدودها الشرقية، اضطرت امبراطورة النمسا ماريا تيريزا إلى توقيع صلح هيوبرتسبورغHubertsburg مع بروسيا.

في هذه الأثناء كانت الحرب دائرة خارج القارة الأوربية في البحار وفي المستعمرات بين بريطانية العظمى وفرنسا، وقد بلغت ذروتها في أمريكا الشمالية خاصة، حيث حققت فرنسا في البداية عدة انتصارات ضد القوات البريطانية، في البحر المتوسط في جزيرة مينورقة فـي تموز ١٧٥٦، في كلكتة بالهند، أمام ميناء روشفور الفرنسي وأمام لويزبرغ Louisburg في كندا.

إن وصول وليم بت الثاني William Bitt II لرئاسة الوزارة البريطانية غيّر مجرى الأمور وأحدث انقلاباً حقيقياً في سير العمليات الحربية في أمريكا الشمالية، فانتصر القائد الإنكليزي الشهير وولف Wolfe على الفرنسيين، واحتل لويزبرغ مفتاح كندا، كما احتل مدينتي كويبك و مونتريال في أيلول عام ١٧٥٩. كما استولت القوات الإنكليزية على حصن دوكين Duquene المركز الأمامي للجيش الفرنسي على نهر أوهايو ونقطة الوصل بين كندا الفرنسية ولويزيانا الفرنسية نواة الإمبراطورية الفرنسية المحتملة في الغرب الأوسط من أمريكا الشمالية. لقد كانت خطة «بت» لتحطيم النفوذ الفرنسي في كندا تتلخص في هجوم ثلاثي يوجه من الغرب والجنوب والشرق، يقوم به القائدان الإنكليزيان وولف ومونتكالم Montcalem، وهذا ماحدث بمساعدة الأسطول الإنكليزي والتفوق السكاني الإنكليزي الهائل (٢مليون إنكليزي مقابل ٥٠ألف فرنسي تقريباً).

أما في الهند فقد حقق القائد الإنكليزي روبرت كلايف Robert Clive انتصاراً كبيراً لإنكلترا هناك، فمنذ عام ١٧٥٦ استولى كلايف في شمالي الهند على مدينة كلكتة، كما سيطر على السنغال، وكذلك استولت إنكلترا على جوريه Gorée في إفريقيا ومعها تجارة العبيد في غربي إفريقيا .

أخيراً، ونتيجة لمعاهدة الصلح التي وُقعت في باريس بين إنكلترا و فرنسا عام ١٧٦٣، والتي وضعت حداً لحرب السبع سنوات، فقدت فرنسا كندا ولويزيانة (شرقي نهر الميسيسيبي) في أمريكا الشمالية، ولم يبق لها في الهند سوى خمسة مراكز تجارية، أما في إفريقيا فقد فقدت فرنسا السنغال، ويمكن القول إن حرب السبع سنوات أدت إلى نهاية الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية الأولى . وكذلك فقدت النمسة من ناحيتها منطقة سيليزية التي ضمتها بروسيا، بعد توقيعها صلح هيوبرتسبوغ عام ١٧٦٣.

وهكذا فإن إنكلترا كانت الرابح الأكبر من صلح باريس عام ١٧٦٣. أما النتيجة المهمة التي تمخضت عنها حرب السبع سنوات، فهي ظهور بروسيا دولة برية أوربية عظمى على القارة، ازدادت قوة مع الزمن إذ أخذت على عاتقها، بعد دحرها النمسة و فرنسا في القرن التاسع عشر، إعلان الاتحاد الألماني بزعامتها، وتتويج الإمبراطور غليوم الثاني إمبراطوراً عليها . أما فرنسافيمكن عدّها الخاسر الأكبر

لحرب السبع سنوات، فقد هُزمت على القارة الأوربية وفي المستعمرات، وضعف شأنها بعد فقدها هيبتها، مما أدى إلى خسارتها اقتصادياً بعد فقدانها مستعمراتها، ولكن هذا لم يمنع فرنسا من الانتقام من منافستها الاستعمارية إنكلترا عند انفجار ثورة المستعمرات الإنكليزية الثلاث عشرة في أمريكا الشمالية بمد هذه المستعمرات بالأسلحة والمال والرجال والدعم المعنوي الذي أدى إلى استقلالها وقيام دولة ا لولايات المتحدة بعد بضع سنوات من نهاية حرب السبع سنوات .

**مراجع للاستزادة:**

. عبد الكافي الصطوف وآخرون، دراسات في تاريخ أوربا في العصر الحديث (جامعة دمشق ١٩٩٧.١٩٩٨).

. ليلى الصباغ، معالم تاريخ أوربا في العصر الحديث (المطبعة الجديدة، دمشق ١٩٨١.١٩٨٢).